قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٥١ السنة الخامسة والخمسون - ربيع أول ١٤٤٧ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

من جوامع كلم النبي ﷺ وبديع حكمه

البرهان الساطع على محبة النبي الخاتم ﷺ

Upload by : altawhedmag.com

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.
للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

مطابع الأهرام التجارية

السلام عليكم

الاحتفال بالمولد

حب النبي صلى الله عليه وسلم من مرتكزات الإيمان، فلا يصح إيمان أحد إلا به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

ولا تتحقق محبة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بتحقيق كمال الاتباع لشريعته التي بلغها عن ربه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، ولذا قال الشاطبي في كتابه الفذ: (الموفقات) مقررًا هذا الأصل العظيم: «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا» فكل عمل تعبدي يعمله العبد بغير دليل شرعي يشهد له فهو من داعية الهوى الذي نهي عنه المكلف.

ومن الأعمال التي يفعلها كثير من الناس اليوم تحت دعوى حب النبي صلى الله عليه وسلم الاحتفال بالمولد، وليس لهذا الاحتفال أصل شرعي.

فاللهم إنَّا نشهدك على محبة نبيك واتباع شرعه من غير ابتداع ولا اختراع.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

قل نار جهنم أشد حرًا	الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
باب العقيدة	د. عبد الله شاكر	٨
ولكن أكثر الناس لا يشكرون	د. محمد حامد	١١
نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية	د. السيد عبد الحليم محمد	١٥
باب السنة	د. جمال المراكبي	١٧
أمثلة من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم	الشيخ /ابراهيم حافظ رزق	٢١
البرهان الساطع على محبة النبي صلى الله عليه وسلم	الشيخ/ عبده أحمد الأقرع	٢٤
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٢٨
مخالفات في هيئة الصلاة على الكراسي	د. أحمد بن سليمان أيوب	٣٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ/ علي حشيش	٣٤
شؤم المعصية	د. محمد عبد العزيز	٣٨
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٤٣
حال الرسول مع الأطفال	الشيخ /صلاح عبد الخالق	٤٧
من روائع الماضي	الشيخ/ صفوت الشودي رحمه الله	٥٠
تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم	د. جمال عبد الرحمن	٥٢
منزلة الوقت في الإسلام	الشيخ /صلاح نجيب الدق	٥٥
الأسرة وتنمية العمل التطوعي	د. محمد محمود العطار	٥٩
رمي السهام في نحور اللئام	د. سيد عبد العال	٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالاً ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالاً ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

ادارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الالكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

Upload by : altawhedmag.com

قل نار جهنم أشد حرًّا

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

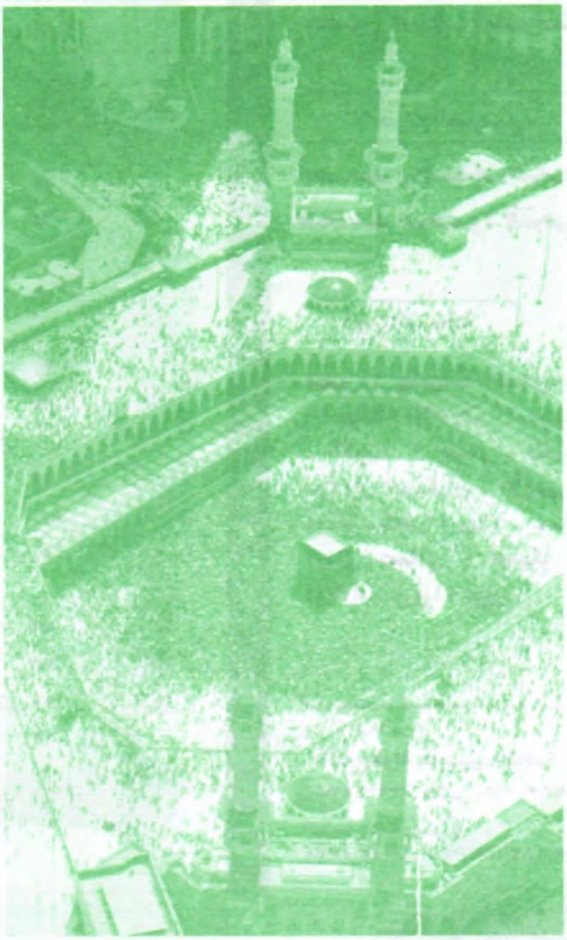

الحمد لله الواحد القهار، والصلاة والسلام على سيد الأبرار، وبعد:

فإن من سنة الله الماضية في خلقه، اختلاف الليل والنهار، وتغير الجو من حال إلى حال، والفصول من برد إلى حر إلى اعتدال. والمؤمن كثير التفكير والاعتبار «إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» (آل عمران: ١٩٠).

قال القرطبي رحمه الله: ختم الله هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدير قدوس سلام غني عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستندًا على يقين لا إلى التقليد. ومن ذلكم التفكر في اختلاف الليل والنهار: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» (آل عمران: ١٩١).

قال ابن كثير رحمه الله: إن تعاقبهما وتفارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا

Upload by : altawhedmag.com

من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلًا، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم، وقال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (النور: ٤٤). ومن تعاقب الليل والنهار يأتي الصيف بما فيه من موجات حر شديد وشمس محرقة، فترى أحوال الناس مختلفة فمنهم من لا هم له إلا الهروب إلى الشواطئ والمصايف فيفر من حر الدنيا إلى حر الآخرة بسبب ما يكون عندها من عري واختلاط واضاعة للصلاة وغير ذلك من المنكرات، ومن الناس من يسب الصيف وحره ظنًا منه أن هذا من فعل الطبيعة، وينسى أو يتناسى أن سب الأيام والشهور سبٌّ لله تعالى.

فقد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

ورحم الله ابن كثير حيث نقل قول الشافعي وأبي عبيدة وغيرهما عند تفسيره لقوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر». قال: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر، مسندين تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله عز وجل، فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة. فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله هو الدهر الذي يصفونه ويسندون إليه تلك الأفعال، غير أن المؤمن الصادق يتدبر ويتفكر قائلًا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١).

فالحر الشديد يذكر المؤمن بحر يوم القيامة وما يصيب الناس من العرق، كما في صحيح مسلم: عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل». قال سليم بن عامر: فوالله ما أدي ما يعني بالميل: أمسافة الأرض؟ أم الميل الذي تكتحل به العين؟ قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا.

> من تعاقب الليل والنهار يأتي الصيف بما فيه من موجات حر شديد وشمس محرقة.

قال وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فيه، وإذا كانت نار الدنيا جعلها الله (تذكرة) بنار الآخرة فإن الحر في الصيف يذكر المؤمن بحر جهنم، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١).

قال الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١): ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة وهي غزوة تبوك في حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض: «لا تنفروا في الحر»، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: «قل» لهم يا محمد نار جهنم التي أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾، من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه.. الذي هو أشد حرًا أحرى أن يحذر ويتقي من الذي هو أقلهما أذى. ﴿لَوْ كَانُوا

Upload by : altawhedmag.com

يَفْقَهُونَ» يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون كتابه، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم». والمراد بالإبراد تأخير صلاة الظهر حتى تنكسر شدة الحر، فحرارة الصيف المحرقة نذير وواعظ من عذاب جهنم، فما يراه الناس من شدة الحر ما هو إلا نفس من جهنم، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير».

وعباد الرحمن دائمًا ما يتعوذون بالله من عذاب جهنم.

«وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا» (الفرقان: ٦٥). وهذا من أعظم أسباب صرف العذاب، كما أن مراعاة حاجة الناس ساعة العسر من أسباب رحمة الله بالعبد يوم القيامة.

كما جاء في سنن ابن ماجه من حديث أبي اليسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يظله الله في ظله فلينظر معسرًا وليضع عنه».

وقد ورد في السنة أن الصيام من أعظم أسباب الوقاية من عذاب الله، كما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من صام يومًا في سبيل الله بعدَ الله- وفي رواية مسلم- باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا».

فما على المسلم إلا أن يتحرى أسباب النجاة من النار بفعل المأمورات وترك المنكرات ومن هذه الأسباب ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»، فليحمد المؤمن ربه على نعمة الظل.

> ما يراه الناس من شدة الحر ما هو إلا نفس من جهنم.

قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا» (الفرقان:٤٥).

وقال سبحانه: «وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ» (النحل: ٨١).

قال الإمام الطبري رحمه الله عند تفسيرها: ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالًا تستظلون بها من شدة الحر، وهي جمع ظل. وهذا من فضل الله بعباده فهو صاحب النعم التي لا تعد ولا تحصى، فكل ما عدى الله ليس له من الأمر شيء فسبحان من هذا خلقه وهذه رحمته التي وسعت كل شيء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا »

(الأحزاب: ٢٨- ٢٩).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قصة تخيير النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه:

قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا » (الأحزاب: ٢٨- ٢٩).

سؤال نساء النبي صلى الله عليه وسلم التوسعة عليهن:

لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله، بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل، والإماء، ونحن على ما ترى من الفاقة والضيق. وألمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم (البحر المحيط: ٢٢٧/٧).

فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كانت نفسه ترغب في أن تعيش فيما اختاره لها من طلاقة وارتفاع ورضا، متجردة من الانشغال بمثل ذلك الأمر والاحتفال به أدنى احتفال، وأن تظل حياته وحياة من يلوذون به على ذلك الأفق السامي الوضيء، المبرأ من كل ظل لهذه الدنيا، لا بوصفه حلالا وحراما فقد تبين الحلال والحرام، ولكن من ناحية التحرر والانطلاق والفكاك من هواتف هذه الأرض الرخيصة.

اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه:

ولقد بلغ الأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مطالبة نسائه له بالنفقة أن احتجب عن أصحابه، وكان احتجابه عنهم أمرا صعبا عليهم يهون كل شيء دونه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن

Upload by : altawhedmag.com

فأذن له فوجد النبيَّ صلى الله عليه وسلم جالسًا حوله نساؤه، واجمًا ساكتًا، فقال عمر: لأقولن شيئًا أضحك النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة، سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: «يا أيها النبيُّ قل لأزواجك» حتى بلغ «للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا» قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك. قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبويَّ! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا» (صحيح مسلم ١٤٧٨).

وعن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: حدثني عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: لما اعتزل نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم نساءه، قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى، ويقولون: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت: لأعلمن ذلك اليوم. قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما لي وما لك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك-أي: عليك بوعظ ابنتك حفصة-.

قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها، يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت أشد البكاء، فقلت لها أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هو في خزانته في المشربة-الغرفة-، فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدًا على أسكفة المشربة، مدل رجليه على نقير من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر، فناديت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئًا، ثم رفعت صوتي فقلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي، فأومأ إليَّ أن ارقه، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا في ناحية الغرفة، وإذا أفيق-جلد- معلق. قال: فابتدرت عيناي، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت: يا نبيَّ الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك.

فقال: يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا. قلت: بلى، قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت يا رسول الله ما

Upload by : altawhedmag.com

يشقُّ عليكَ من شأن النساء، فإن كنتَ طلقتهنَّ، فإنَّ الله معكَ وملائكتُه وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معكَ، وقلَّما تكلمتُ وأحمدُ الله بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يُصدِّقُ قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية آية التخيير: «عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ» (التحريم: ٥)، «وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ» (التحريم: ٤).

وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله أطلقتهنَّ؟ قال: لا. قلت يا رسول الله! إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن. قال: نعم. إن شئت. فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب -زال- عن وجهه، وحتى كشر -تبسم- فضحك. وكان من أحسن الناس ثغرا. ثم نزل نبي الله صلى الله عليه وسلم ونزلت، فنزلت أتشبث بالجذع ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول الله، إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين. قال: إن الشهر يكون تسعا وعشرين.

فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، ونزلت هذه الآية: «وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ» (النساء: ٨٣)، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله -عز وجل- آية التخيير: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» (التحريم: ٢٨)، (صحيح مسلم ١٤٧٩).

تخيير النبي صلى الله عليه وسلم نساءه:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ» (الأحزاب: ٢٨).

المتعة التي أوجب الله على الرجال للنساء عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله: «وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ» (البقرة: ٢٣٦).

وقوله: «وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» (الأحزاب: ٢٨).

يقول: وأطلقكن على ما أذن الله به، وأدب به عباده بقوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» (الطلاق: ١).

«وإن كنتن تردن الله ورسوله» يقول: وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما «فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ» (الأحزاب: ٢٩).

وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله «أَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٢٩).

(جامع البيان: ١٥٦/٢١).

فخيَّرهنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن كلُّهنَّ الله ورسوله والدار الآخرة.

وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرته عليه، أن يكون بحال يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

ومنها: سلامته صلى الله عليه وسلم بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع. «مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ» (الأحزاب: ٣٨).

ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة وعن مقارنتها.

ومنها: سلامة زوجاته رضي الله عنهن عن الإثم والتعرض لسخط الله ورسوله.

ومنها: إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار للأمر المختار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكن زوجاته في الدنيا والآخرة.

ومنها: أن يكون اختيارهن هذا سببا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكن بمرتبة ليس فيها أحد من النساء. (تيسير الكريم الرحمن: ٢١٥/٦ و٢١٦).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أنواع البدع

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: استكمالًا لما سبق في موضوع البدع وبيان خطورتها على الإسلام والمسلمين، نذكر في هذا المقال -بعون الله ومدده- أنواع البدع، والرد على من قسَّم البدع إلى حسنة وسيئة.

البدعة نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية:

كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة والكرامية والصوفية، وسائر الفرق الضالة، واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات:

كالتعبد لله -تبارك وتعالى- بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة:

بأن يُحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أصلًا، أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد، ومثل الترهب والانقطاع للعبادة.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة:

بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلًا؛ فصلاة الظهر والعصر مشروعة ولكنها تُصلَّى أربعًا؛ فإذا صلاها المصلي خمسًا فيكون قد ابتدع وزاد في العبادة المشروعة.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة:

بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة،

Upload by : altawhedmag.com

وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج به المتشدد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذِّكْرُ مشروع والعبادة والنوافل والتقرب إلى الله -تبارك وتعالى- بها مشروعٌ؛ ولكن الإنسان إذا أتى بها على صفة غير مشروعة، كما يفعله المتصوفة اليوم عندما يأتون بالأذكار على هيئة معينة، يستمعون فيها، ويتمايلون على اليمين وعلى اليسار، وربما يصفقون، وربما يقولون أشعارًا وإنشادًا؛ فهذه كلها من البدع؛ لأنها دخلت على الأصل الصحيح؛ ألا وهو الذكر؛ ولكنهم زادوا في صفته هذه العبادة المشروعة.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة

لم يخصصه الشرع:

كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن الأصل في القيام والصيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

(ب) البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية:

وهناك تقسيم آخر للبدعة إلى: حقيقية وإضافية. قال العلامة الشاطبي-رحمه الله تبارك وتعالى- ما معناه:

البدعة الحقيقية:

وهي التي ليس لها أصل من كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من إجماع علماء المسلمين.

البدعة الإضافية:

وهي التي تكون ذات وجهين: فهي من وجه مشروعةٌ في الجملة، ومن وجه آخر واقعٌ صاحبها في بدعة، وقعت منه من حيث الزمن أو الكيفية؛ فإذا نظرت إلى الوجه الأول تقول: هي مندوبة مشروعة؛ لأنها وقعت من وجه مشروع، وإذا نظرت إلى الوجه الثاني-يعني: الإضافة التي وقعت عليها، أو الزمن الذي ارتبطت به، أو الكيفية أو الحالة التي أتى بها المبتدع-، ترى أنها بدعة، وهذه مسألة مهمة، ولأهميتها سنذكر هنا بعض الأمثلة على البدعة الإضافية:

المثال الأول: الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الأذان بدعة حقيقية:

إذ ليس لها أصل من القرآن ولا من السنة ولا عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. أما بعد الأذان فيُسن للمؤذن وللمستمع أن يصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم. أما رفع صوت المؤذن للصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأذان فهذا بدعة. ومن هنا أصبحت بدعة إضافية؛ لأننا إذا نظرنا إلى مشروعية الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا ذلك مشروعًا؛ بل مستحبًا؛ حثَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا نظرنا إلى الجهر بالصلاة والسلام عليه بعد الأذان فوق المنابر وغير ذلك، نجد أن ذلك بدعة. ومن هنا نقول بأن هذا من البدع الإضافية.

المثال الثاني:

السنن الرواتب سنن مؤكدة باتفاق المذاهب؛ ولكنها مشروعة أن تصلى بالانفراد؛ فإذا صُلّيت جماعة أصبحت بدعة بالنظر إلى الكيفية. فلم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى هذه السنن جماعة بالمسلمين ولا صلاها أحدٌ من أصحابه؛ وبالتالي فإذا صلاها الإنسان وحده أتى بالسنة. أما إذا صلاها جماعة فنقول: هذا من البدع الإضافية.

المثال الثالث:

قراءة القرآن تُسنّ، وفيها من الأجر العظيم ما لا يخفى على أحد. ولكن قراءة القرآن في السجود والركوع بدعة. وكونها بدعة من حيث المحل-يعني: أن هذا ليس مكانها-. لا من حيث المشروعية؛ فقراءة القرآن مشروعة؛ بل من أقرب القربات إلى الله-تبارك وتعالى-.

الرد على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة:

لقد استهان المسلمون بأمر البدع، وقالوا: هذه بدعة حسنة، وهذه بدعة خفيفة، وهذه بدعة لا تؤثر كثيرًا في أصل الدين؛ حتى صاروا لا يفهمون الدين، فزادت وتنوعت البدع؛ حتى أصبحت البدعة هي الأصل، والسنة هي الفرع، لقد أصبح دينهم بدعًا وعاشوا حياتهم على البدع، ومن ثم لا يميزون بين الحق والباطل، ولا يفرقون بين الطيب والخبيث.

فمن قسّم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة

Upload by : altawhedmag.com

فهو مخطئ ومخالف: لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن كل بدعة ضلالة»، وبهذا حكم الرسول صلى الله عليه وسلم على البدع كلها بأنها ضلالة، ووَصْفُ الضلالة لازم للبدعة إذًا؛ ومن ثَم فلا يجوز لأحد أن يقسمها إلى حسنة وسيئة، ومعلوم أن الضلالة ضد الهُدى: قال تعالى: « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ » (البقرة: ١٧٥)، وقال تعالى: « أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » (الرعد: ٣٣). وقال عز وجل: « وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ » (الزمر: ٣٧).

ولا شك أن العاقل يُفرّق بين الهدى والضلال- وهناك حقًا فرقٌ بينهما-، وهذا يقتضي أنهما ضدان وليس بينهما واسطة تعتبر في الشرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى- في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم): ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله: «كل بدعة ضلالة» بسلْب عمومها، ويقول: ليس كل بدعة ضلالة، فإن هذا مشاقة للرسول صلى الله عليه وسلم أقرب منه إلى التأويل.

وبهذا يتبين أنه لا يوجد بدعة حسنة، ويطل قولهم: مَن ابتدع في الإسلام بدعة حسنة. قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: "قوله صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو رد»: فكل من أحدث شيئًا ونَسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين، فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة".

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نِعْمَت البدعةُ هذه»: يريد البدعة اللغوية، واستعمال بعض معاني اللفظ دون بعض مألوف لدى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أجعل لك صلاتي كلها؟»، أي: دعائي، فاستعمل بعض معاني الصلاة الخفية وعدل عن المعنى الظاهري المتبادر منها.

قال ابن رجب-رحمه الله-: "وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية: فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد ورآهم يصلون، فقال: «نعمت البدعة هذه».

هذه الأمور التي ذكروها سواء كان ما فعله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في قيام رمضان، أو جَمْع القرآن في كتاب واحد، هذه الأمور كلها لها أصل في الشرع؛ فليست محدثة، وما قاله عمر رضي الله عنه يريد به البدعة اللغوية؛ لأن البدعة في اللغة: هي الشيء المُحْدَث على غير مثال سابق؛ كما قال عز وجل: « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (الأنعام: ١٠١)، يعني: مبتدعهما ومُوجدهما، أي: أنه ابتدعهما وأوجدهما على غير مثال سابق.

لكن لا يقال في شيء: إنه في الشرع المطهر بدعة إلا إذا كان محدثًا، لم يأت في الكتاب والسنة ما يدل على مشروعيته: فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل: إنه بدعة فهو بدعة لغةً لا شرعًا، وهذا الكلام ينطبق على جمع القرآن، وعلى صلاة التراويح.

والحمد لله رب العالمين

Upload by : altawhedmag.com

ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون

أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ نِعَمَ الله عز وجلَّ علينا كثيرةٌ نعجز عن عدِّها، أو إحصائها وأداء شكرها، وصدق الله إذ قال: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (سورة إبراهيم: ٣٤)، وقال تعالى: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (سورة النحل: ١٨)؛ أي: لغفور لنا لما يكون منَّا من تقصير في شكر نعمه، رحيم بنا حيث لم يقطع عنَّا نعمه بسبب تقصيرنا.

قال طلق بن حبيب، رحمه الله: إن حقَّ الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يُحصيها العباد، ولكن أصْبِحوا توابين وامسُوا توابين (تفسير ابن كثير (٤/٥١١)).

والله -جلَّ علا- شاكر وشكور كما أنه غفور؛ فهو سبحانه يقبل من عباده اليسيرَ من الطاعات، ويعطيهم عليه الكثير من الحسنات، يتجاوز لعباده الكثير من الزلل، ويشكر لهم القليل من العمل، ومع ذلك فإن أكثر الناس عن شكره سبحانه في غفلة، وصدَّق عليهم إبليس ظنه، وقد قال لربه سبحانه: «قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ

Upload by : altawhedmag.com

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٦- ١٧).

وقد قرَّر الله في مواضع من كتابه العزيز أن أكثر الناس تاركون للشكر، غافلون عنه أو مُعْرِضُون قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٤٣). وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة يونس: ٦٠). وقال تعالى ذاكرًا قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة يوسف: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة النمل: ٧٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة غافر: ٦١). وقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: ١٣).

وحقيقة الأمر أنَّ المؤمن يعيش في هذه الحياة ما بين نعمة وعطاء، ومحنة وابتلاء، والنعمةُ أكثر، والعطاء أغلب، وحقُّ النعمة أن يُشكر الله عز وجل عليها، وحق الابتلاء أن يُصبر عليه، وألا يتسخط العبد على أقدار الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ (سورة المعارج: ١٩-٢٢).

وعنْ صُهَيْب، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (صحيح مسلم: ٢٩٩٩).

والنعمة أكثر وأغلب؛ ولذا فإن الله يذكر معها غالبًا أداة الشرط "إذا" التي تستعمل للدلالة على التحقيق، وأما الابتلاء والضراء فيأتي معه "إنْ" غالبًا، وهي دالة على ندرة وقوع الفعل، وقلته.

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (سورة الروم: ٣٦)؛ فتأمل الفرق بين التعبيرين ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي: نعمة وعطاء، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلية وضراء.

فعبر بـ "إذا" وهي أداة التحقيق" إشارة إلى أن الرحمة أكثر من النقمة"، وعبر بـ «وَإِنْ» وهي في الأصل أداة شك للدلالة "على أن المصائب أقل وجوداً "(نظم الدرر١٥/٩٥)، ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ (سورة الشورى: ٤٨).

فـ"اجتلاب إذا في هذا الشرط لأن شأن "إذا" أن تدل على تحقق كثرة وقوع شرطها، وشأن "إن" أن تدل على ندرة وقوعه، ولذلك اجتلب إن في قوله: «وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ» لأن إصابتهم بالسيئة نادرة بالنسبة لإصابتهم بالنعمة على حد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ (الأعراف:١٣١)" (التحرير والتنوير (١٣٥/٢٥)).

إذا عرفت هذا-أيها اللبيب- فحريٌّ بك أن تعلم أيضًا أن كثيرًا مما تظنه ضراء، وتحسبه من جنس المنع والابتلاء هو في حقيقة الأمر نعمة وعطاء، ولطف من رب الأرض والسماء.

وذلك أن الله قد يمنعك ليعطيك ما هو أفضل لك، وأنفع لحالك، وقد يكون فيما رغبت فيه، وتمنيت حصوله المضرة العاجلة أو الآجلة؛ ولذا فقد أرشدنا الله سبحانه إلى هذا المعنى النفيس، والأصل العظيم حين قال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦).

ولذا فقد قيل: إن منع الله عطاء، وبلاءه نعماء.

حقيقٌ بكل مؤمن أن يسأل نفسه: هل أنا من

Upload by : altawhedmag.com

الشاكرين، وكيف أكون من الشاكرين؟

وقد وجَّه الله سبحانه سؤالا لخلقه-وهو بكل شيء عليم-، يحثهم فيه على الشكر، ويحذرهم من التقصير فيه فقال عزَّ من قال: «فَهَلْ أَنتُم شَٰكِرُونَ» (سورة الأنبياء: ٨٠).

وأنكر على أولئك الغافلين عن شكره فقال سبحانه: «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» (سورة يس: آية ٣٥، وآية ٧٣».

وفيما يلي أذكر بعض الأسباب التي تشحذ همتك، وتقوي عزيمتك على شكر الله تعالى.

أولا: شكر الله تعالى طريق إلى رضا الله تعالى عنك.

إذا أردت أن يرضى عنك ربك فاشكره ولا تكفره؛ فإن الله يرضى منك الشكر مع غناه عنك، وعن شكرك.

قال تعالى: «إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ» (سورة الزمر: ٧).

فهو سبحانه لا يرضى لعباده الكفر ولا يحبه، ولا يأمر به، ويرضى لعباده أن يشكروه بالإيمان به ولزوم طاعته.

وفي صحيح مسلم (٢٧٣٤) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله ليَرْضى عن العبد أنْ يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

ثانيا: شكر الله تعالى أمان من العذاب

إذا شكرتَ الله تعالى أمنتَ من عذابه تعالى فإنه لا يعذب من آمن به، وشكره؛ قال تعالى: «مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا» (سورة النساء:١٤٧)، ويستفاد من الآية الكريمة أن الله لا يعذب المؤمن الشاكر. "وقدم الشكر على الإيمان؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان الشكر سببًا للإيمان؛ متقدّم عليه، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به" (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (٢١٤/١)).

ثالثا: شكر الله تعالى سبيل حفظ النعم، والطريق إلى زيادتها.

يُسمَّى الشكرُ بالحافظ الجالب أي: الحافظ للنعمة الموجودة، والجالب للنعمة المفقودة.

وذلك أنَّ النعم صيد، والشكر قيدها، وبه رعايتها، كما أن المعصية طريق فرارها، وذهابها.

قال تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ» (سورة إبراهيم: ٧).

وقد ذكر الله سبحانه أمثلة لهلاك من كفر بنعمة ولم يشكرها؛ قال تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ» (سورة النحل: ١١٢)، وقال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ» (سورة سبأ: ١٥-١٧).

إذا كنت في نعمة فارعها

فإن المعاصي تزيل النعم

رابعا: في شكر الله تعالى امتثال أمره، وتحقيق عبوديته، والاقتداء بصفوة خلقه.

أمرنا الله عز وجلّ بشكره في مواضع عديدة من كتابه العزيز؛ قال تعالى: «فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ» (سورة البقرة: ١٥٢).

Upload by : altawhedmag.com

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢). وقال تعالى: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ١٧).

وأمر الله عز وجلّ نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم فقال له: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة الزمر: ٦٦). وقال لموسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٤).

وقد أثنى الله على نوح عليه السلام فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ٣). وأثنى سبحانه على خليله إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة النحل: ١٢٠-١٢١).

وصفوة الأمر: أن الشكر صفة جليلة، وخصلة عظيمة؛ ولذا فقد أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم أجلّة أصحابه فعَنْ مُعاذ بْن جَبَل، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "(أخرجه أبو داود في سننه(١٥٢٢) بإسناد صحيح)

٥- استحضارك لنعم الله عليك فهذا عون لك على الشكر.

يفرّط كثير من الناس في حق الشكر بسبب غفلته عن استحضار نعم الله الكثيرة التي تدفع العبد إلى شكر الله مُسديها، والمتفضل بها عليه، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (سورة النحل: ٥٣)؛ وقال عز وجلّ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (سورة لقمان: ٢٠).

وكثير من الناس لا يتذكر - إن تذكر- من النعم إلا القليل، ويغفل عن نعم كثيرة وكبيرة هو في بحرها مغمور ليلًا ونهارًا. قال أبو الدرداء: "من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه" (المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي) (٣/ ٣٤٠)

وقد يتذكر بعض الناس النعم الطارئة، ويغفل عن نعم امتنّ الله بها عليه منذ خلقه من سمع وبصر وفؤاد وغير ذلك. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٧٨). وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٧٨).

هذه بعض الأسباب التي تشحذ همة العبد، وتقوي عزيمته على شكر الله تعالى.

وختامًا، اعلم-أيها الموفّق- أن شكر الله عز وجل يتحقق بالاعتراف بنعمه، والخضوع له، وحبّه، والثناء عليه بها، وأن تستعملها في طاعته لا في معصيته؛ فإن الشكر يكون بالقلب، وباللسان، وبالجوارح.

قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سورة سبأ: ١٣). وعن المُغيرة بْن شُعْبَة رضي الله عنه قال: قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨٣٦)، ومسلم في صحيحه (٢٨١٩)).

وفّقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا من الشاكرين.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 3

نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

إعداد د. السيد عبد الحليم محمد حسين
من قدامى علماء أنصار السنة المحمدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى من اتبع هداه، إلى يوم أن نلقاه، وبعدُ:
فحديثنا لا يزال موصولًا عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

جهاده الدعوي:

هال ابن تيمية ما وصل إليه حال المسلمين من سوء وفوضى في العقيدة، فوقف حياته على معالجة هذه الحالات، يستقي من نور النبوة، ويتقدم لإصلاح معالم الدين، التي أفسدها المفسدون، من المبتدعة، والملاحدة، والمنطقيين، وأهل الأهواء والفرق الضالة.

لقد فاق أقرانه، وأهل عصره، في قوة عزيمته الدعوية، ورتبة تجديده لمعالم الدين، وإعادة الأمة إلى الكتاب والسنة، ونصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، والاحتجاج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يُسبَق إليها.

وأعلن حربًا لا هوادة فيها على الطوائف كلها، وأخذ يُظهر زيفها، وبطلانها، وبُعدها عن منهج الكتاب والسنة، ويدعو إلى طريق السلف الأول من الصحابة والتابعين، معتقدًا أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ويدعو إلى البعد عن أساليب الجدل المقوتة، والتلاعب بالألفاظ في جانب معرفة الله تعالى وصفاته، وترك الحزبية المذهبية التي فرَّقت المسلمين، وجعلتهم شيعًا وأحزابًا، وكانت تمكَّنت من نفوس العلماء، فحملتهم على معاداة بعضهم، وتكفير بعضهم بعضًا، حتى كانت سببًا فيما ابتلى الله به المسلمين من الضعف والخذلان، وتسليط الأعداء، جزاءً وفاقًا لما تركوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

خاض مع المسلمين معارك ضد التتار، وكان يجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبِّر تكبيرًا أنكى في العدو، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

لما قام بهذا الواجب العظيم، غاظ خصومه، فرمته كلُّ طائفة من الطوائف المنحرفة بلقب سيئ، تريد بذلك صد الناس عن دعوته، وتشويه عمله.

ومما قيل فيه:

نفاة الصفات قالوا: إنه مُجسِّم؛ لأن إثبات الصفات عندهم تجسيم.

ومتعصبة الفقهاء والمبتدعة قالوا: إنه خرق الإجماع؛ لأنه أخذ القول الراجح بالدليل المخالف لما هو عليه، ورد البدع، خرق للإجماع عندهم.

وغلاة الصوفية والقبوريون قالوا: إنه يُبغض الأولياء، ويكفِّر المسلمين، ويُحرِّم زيارة القبور؛ لأن الدين عندهم هو التقرب إلى الأولياء والصالحين، وتعظيم مشايخ طرق الصوفية، واتخاذهم أربابًا من دون الله، والغلو في تعظيمهم بصرف العبادة

Upload by : altawhedmag.com

إليهم.

لم ينجُ من كيد الكائدين الذين رموه بكلّ سوء، لكنّ الله برّأه مما قالوا، وكان عند أئمة الجرح والتعديل ثبتًا، ثقة، عدلًا.. ولقد انبرى كثير من أهل العلم والفضل لهؤلاء الشانئين، فأظهروا خطلهم وفساد قولهم.

وبسبب التُّهم الكاذبة التي لُفّقت له، مُنع من التدريس، والإفتاء، وسُجن، وامتُحن، فلا يكاد يخرج من السجن إلا ويعود إليه، فقضى سنوات طويلة مُعاقبًا بالحبس، في سجون دمشق، والقاهرة، والإسكندرية، ولم يرحمه أعداؤه حتى في شيخوخته. ومع هذا يقابل أعداءه بالعفو والصفح ويقول لهم: لا تثريب عليكم، يغفر الله لي ولكم.

مكانة شيخ الإسلام ابن تيمية:

١- قال عماد الدين الواسطي: «فوالله ثم والله، ثم والله، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم علمًا وعملا وحالًا، وخلقًا، واتباعًا، وكرمًا، وحلمًا، في حق نفسه... وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفًا، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة» (العقود الدرية ص٣١١- ٣١٢).

٢- وقال عمرُ بنُ عليّ البزّار: «ما رأيت أحدًا أثبت جأشًا منه، ولا أعظم غَناء في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم». (الأعلام العلية ص٦٧).

٣- وقال أبو حيان الأندلسي: «والله ما رأت عيناي مثل ابن تيمية». (الرد الوافر لابن ناصر الدين، ص١١٤).

٤- وقال الذهبي: «ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد يستوعب السنن حفظًا، إن تكلم في التفسير، فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه، فهو مدرك غايته، أو ذاكر الحديث فهو صاحب علمه، أو حاضر في النّحل والملل، لم تر أوسع من نحلته، ولا أرفع من رايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، لم تر عيني مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه». (المعجم المختص بالمحدثين للذهبي، ص٢٥).

وقال: «لم يخلف بعد مثله في العلم، ولا من يقاربه». (معجم الشيوخ (١/ ٧٥)).

وقال: «فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله، ما رأى هو مثل نفسه في العلم». (العقود الدرية، ص١١٨، الرد الوافر، ص٧٢).

٥- وقال ابن حجر العسقلاني في تقريظه كتاب الرد الوافر: «وشهرة إمامه الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باقٍ إلى الآن على الألسنة الزكية، ويستمر غدًا كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف، فما أغلط من تعاطى ذلك وأكثر عثاره.. ومن أعجب العجب أن هذا الرجل، كان من أعظم الناس قيامًا على أهل البدع، من الروافض والجلولية والاتحادية.. وقد شهد له بالتقدم في العلوم، والتميز في المنطوق والمفهوم، أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلًا عن الحنابلة». (الرد الوافر، ص٢٢٩).

٦- قال محمد كرد علي: «كان شيخ الإسلام سيفًا مسلولًا على المخالفين، وشجى في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، طنّت بذكره الأمصار، وضنّت بمثله الأعصار، فقد عقمت القرون أن يأتي رجل بما يماثله، ولو ادعينا أنه لم يأت عالم مثله... ما قدر أحد على رد دعوانا». (ترجمة ابن تيمية، ص١٤).

٧- قال ابن الزملكاني:

ماذا يقول الواصفون له
وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة الله قاهرة
هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة
أنوارها أربت على الفجر

(البداية والنهاية، لابن كثير، ج١٤، ص١٤٢، ١٤٣).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

من جوامع كلم النبي وبديع حكمه

د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه قال: حدثنا زهير بن حرب واسحق بن إبراهيم، قال إسحق أخبرنا وقال زهير حدثنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فنزلنا منزلا: فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى مناد رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه: فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. فدنوت منه، فقلت له: أنشدك الله، أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه، وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية، يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل،

Upload by : altawhedmag.com

ونقتل أنفسنا، والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ (النساء: ٢٩)، قال: فسكت ساعة، ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله.

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير وأبو سعيد الأشج قالوا حدثنا وكيع ح وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد نحوه.

وحدثني محمد بن رافع حدثنا أبو المنذر إسماعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبي إسحق الهمداني حدثنا عبد الله بن أبي السفر عن عامر عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدي، قال: رأيت جماعة عند الكعبة فذكر نحو حديث الأعمش.

أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة- باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول. حديث رقم (١٨٤٤).

ورواه أحمد في مسنده (٦٧٩٣) -في مسند المكثرين في الرواية من الصحابة- في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ورواه كذلك النسائي (٤١٩١) وابن ماجه (٣٩٥٦)، كلهم عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما.

قال في تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي: عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة العائذي، أو الصائدي.حديثه في أهل الكوفة. روى عن: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود.روى عنه: زيد بن وهب الجهني، وعامر الشعبي، وعون بن أبي شداد العقيلي. ذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". وروى له مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، حديثًا واحدًا، هو حديثنا هذا.

شرح الحديث:

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُعلِّمًا حكيمًا ومُربِّيًا، وكان يغتنمُ الفُرص والأوقات ليعلم أصحابَه أمورَ دِينهم، ويُنذرهم من الفتنِ المهلكات، ويُبين لهم سُبلَ النجاة والخلاص منها والحفاظ على الدِّين وعلى وحدة الأمة وبقائها.

وفي هذا الحديث يَروي التَّابعيُّ عبدُ الرحمن بنُ عبد ربِّ الكَعْبة أنَّه دخل المسجد الحرام، فوجد الصَّحابيَّ عبدَ الله بن عَمْرو رضيَ اللهُ عنهما جالسًا في ظلِّ الكعبة، والنَّاسُ حولَهُ يَسْألونه في أمور دينهم ودنياهم ويتعلَّمون منه حديثَ رَسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وسنته ومنهاجه، فذهبَ إليهم هذا التابعي، وجَلس معهم وزاحمهم، فذكر عبدُ الله بنُ عَمْرو رضيَ اللهُ عنهما أنَّه وأصحابَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كانوا مع رسول الله في سَفر، اما في حج أو عمرة أو غزوة: فنَزلوا مكانًا للاستراحة من عناء السَّفر، وأخذَ النَّاسُ أماكنهم للرَّاحة وإصلاح شُؤونهم، فكان منهم مَن يُصلِحُ خِباءَهُ أي: خَيْمته. قال: ومنا من ينتضل: من "المناضلة"، وهي الرمي بالنبال. ومنا من هو في جشره: بفتح الجيم والشين، وهي الدواب التي ترعى، وتبيت مكانها.

إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة: الصلاة بالفتح منصوبة على الإغراء، وجامعة منصوبة على الحال. قال محمد الصديقي الشافعي في دليل الفالحين: وورد في بعض الطرق رفعهما على المبتدأ والخبر.

(وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا): هذه اللفظة، رُويت على أوجه:

أحدها: وهو الذي نقله عياض، عن جمهور الرواة: "يرقق" بضم الياء وفتح الراء، وبقافين: أي: يصير بعضها رقيقًا: أي: خفيفًا: لعظم ما بعده. فالثاني يجعل الأول رقيقًا. وقيل: معناه: يشبه بعضها

Upload by : altawhedmag.com

بعضًا. وقيل: يدور بعضها في بعض، ويذهب ويجيء. وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض، لتحسينها وتسويلها.

والوجه الثاني: "فيرفق" بفتح الياء وإسكان الراء، وبعدها فاء مضمومة.

والثالث: "فيدفق" بالدال المهملة الساكنة، وبالفاء المكسورة. أي: يدفع ويصب. والدفق: الصب.

(وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي. ثم تنكشف وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه).

هذا، من جوامع كلمه صلى الله عليه وآله وسلم، وبديع حكمه. وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها. وأن الإنسان يلزم: أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه.

(ومن بايع إمامًا، فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع. فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر)؛ معناه: ادفعوا الثاني، فإنه خارج على الإمام. فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال، فقاتلوه. فإن دعت المقاتلة إلى قتله، جاز قتله، ولا ضمان فيه لأنه ظالم متعد في قتاله.

(فدنوت منه، فقلت له: أنشدك الله! آنت سمعت هذا، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه، وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك: "معاوية"، يأمرنا: أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا. والله عز وجل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ (النساء: ٢٩).

المقصود بهذا الكلام: أن هذا القائل، لما سمع كلام عبد الله بن عمرو، وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول، وأن الثاني يقتل: فاعتقد هذا القائل هذا الوصف في معاوية، لمنازعته عليًا رضي الله عنه.

وكانت قد سبقت بيعة عليّ رضي الله عنه.

فرأى هذا: أن نفقة معاوية رضي الله عنه على أجناده وأتباعه في حرب عليّ رضي الله عنه ومنازعته ومقاتلته إياه: من أكل المال بالباطل، ومن قتل النفس؛ لأنه قتال بغير حق. فلا يستحق أحد مالاً، في مقاتلته.

(قال: فسكت ساعة. ثم قال: أطعه في طاعة الله. واعصه في معصية الله عز وجل).

هذا فيه دليل: لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر، من غير إجماع ولا عهد. انتهى

من فوائد الحديث

١- من واجب الحكام والعلماء تنبيه الأمة وتحذيرها من الأخطار.

٢- بيان كمال شفقة الأنبياء عليهم السلام على أممهم ببيان الخير والشر لهم.

٣- علم من أعلام النبوية حيث وقع كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- الحث على التمسك بهدي السلف الصالح وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

٥- الحث على الالتزام بالإيمان بالله واليوم الآخر، وسلوك سبل الهداية، والمعاملة الحسنة والخلق الطيب، وأنّ ذلك يدخله الجنة ويزحزحه عن النار.

٦- قال النووي: قوله: (أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله) هذا فيه: دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد.

٧- وجوب قتال الفئة الباغية التي تخرج على الإمام وتشق عصا الطاعة وتفرق جماعة المسلمين، وذلك للحفاظ على وحدة صف الجماعة المسلمة

Upload by : altawhedmag.com

وعدم تفريق كلمتها.

٨- قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يُؤتى إليه): هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه.

وفي الحديث تأكيد على الهدف من إرسال الرسل في قوله صلى الله عليه وسلم: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته»، وفي القرآن الكريم: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وبهذا نعلم ماهية الخير والشر: فالخير كل الخير في عبادة الله وحده لا شريك له، وفي الاعتصام بالله تعالى وبحبله، وفي مناصحة ولاة الأمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال".

ومن الشر الذي ينبغي أن يحذره الناس: "قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"، وهذه بدايات الفتن المضلة والمهلكة التي تنتهي ولا بد بالافتراق والتناحر والتنازع وترك الاعتصام والتناصح.

وفي الحديث: دلالة من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم: حيث أخبر ببعض ما سيقع في أمته من الفتن.

وفيه: طاعة الإمام وقتال من خرج عليه.

وفيه: اختلاف الأفهام في توجيه النصوص الشرعية: فلذلك يجب رد الأمر إلى العلماء.

ونلاحظ المقابلة بين قوله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء وواجباتهم: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، مع قوله: وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وكذلك بين قوله: وأن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، مع قوله: وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها.

وكذلك المقارنة بين أول الأمة وآخرها وموقع ذلك من ظهور الفتن، فالعافية لصدر هذه الأمة وأولها وخير قرونها والبلاء لآخر هذه الأمة حيث الشقاق والافتراق وبيان ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها": بما يدل على أن الفتن المضلة واقعة على الأواخر دون الأوائل، وأن الأوائل وإن وقعت فيهم الفتن فقد كانوا أعلم الناس وأعقلهم وأحكمهم وأحلمهم: فهم تلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم ربَّاهم وعلمهم وأخبرهم بكثير مما سيقع من الفتن والأمور المنكرة في المستقبل القريب والبعيد فكانوا أقدر الناس على التعامل معها والتصرف فيها بما يحفظ على الأمة دينها ووحدتها وعافيتها.

وفي الحديث ما يدل على تقلب المؤمن في آخر الزمان في فتن كثيرة، ينكشف بعضها، ويشتد بعضها.

والتوكيد اللفظي في قوله صلى الله عليه وسلم: (هذه هذه): يدل على أن بعض الفتن يكون شديدًا بما يجعل المتلقي متوقعًا الهلاك معها، فالمعنى هذه هي الفتنة الكبرى أو المهلكة، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الفتن.

وفيه أيضًا بيان سبل النجاة من الفتن، وذلك في قوله: «فمن أحب أن يُزحزح عن النار، ويُدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»، قوله (أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله) فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد كما قال النووي.

وللحديث عن الفتن بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أمثلة من أخلاق النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:
فإن الله سبحانه زكى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم فقال عنه: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤). وجعل الله من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة الحسنة لكل مؤمن فقال تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ» (الأحزاب: ٢١). وقد أورد البخاري في كتاب الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». فرسول الله صلى الله عليه وسلم المثال البشري الكامل لكل خُلق كريم، فقد اختاره الله واصطفاه ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين وصنعه الله على عينه، فكان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأفصحهم لهجة وأبينهم لسانًا، أدبه الله فأحسن تأديبه، فكان أرجح الناس عقلًا وأكثرهم أدبًا وأوفرهم حلمًا وأصدقهم حديثًا وأكثرهم حياءً وأوسعهم رحمة وأكرمهم نفسًا. فقد جعله ربه سبحانه على كل خلق محمود وطهره من كل خلق مذموم. فصلوات ربي وسلامه عليه.

إعداد الشيخ / ابراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

وفي هذا المقال نستعرض بعض الأمثلة على كمال خلق نبينا صلى الله عليه وسلم فهو القائل: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا». (رواه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح). ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل المؤمنين وأول المسلمين، وهو الداعي إلى كل خلق حميد فمن جملة قوله: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم». (رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا». (رواه الترمذي).

حلمه صلى الله عليه وسلم:

الحلم ضبط النفس وسعة الصدر، ولا يظهر حلم الحليم إلا ساعة غضبه، فإذا أردت أن تختبر حلم إنسان فراقبه عند الغضب. وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: «لا

Upload by : altawhedmag.com

تغضب» فردد مرارًا قال: «لا تغضب» والحلم من الأخلاق التي يحبها الله وفطر عليها بعض عباده كما في حديث أشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». (رواه مسلم عن عبد الله بن عباس).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». (متفق عليه).

وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأوسعهم صدرًا. ففي موقعة أحد وقع صلى الله عليه وسلم في حفرة حفرها أبو عامر الفاسق، فشجت وجنتاه وكسرت رباعيته ودخل المغفر في رأسه فما زاد عن قول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». وكأنه صلى الله عليه وسلم بذلك يقتدي بالأنبياء السابقين في ردهم على أذى أقوامهم. ففي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وحادثة رجوعه من الطائف معروفة وحديثه مع جبريل عليه السلام وملك الجبال: «إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا». (البخاري ومسلم).

عفوه صلى الله عليه وسلم:

يقول سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان مثالًا حيًا للعفو والصفح عن تجاوزات الآخرين. قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩). فكم عانى صلى الله عليه وسلم من إساءات الآخرين وأذى الأعداء فما كان يزيده ذلك إلا عفوا، وصدق فيه قول ربه كما في البخاري من حديث عبد الله بن عمرو: «أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح». وفي البخاري قصة الرجل الذي أخذ سيف النبي وهو نائم تحت شجرة ولم ينتبه النبي إلا والرجل قائم عند رأسه وفي يده السيف ويقول: من يمنعك مني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله» فسقط السيف من يد الرجل فتناوله النبي وقال للرجل: «وأنت من يمنعك مني؟» فقال الرجل: كن خير آخذ. فعفا عنه النبي فرجع إلى قومه يقول: جئتكم من عند خير الناس. وقصة عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة عام الفتح معروفة ومشهورة.

عدله صلى الله عليه وسلم:

فقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم مثالًا للإمام العادل والزوج العادل لا يجور ولا يحيف، حتى لقد كان العدل من أوصافه وأخلاقه قبل البعثة. وقصة تحكيم قريش له في وضع الحجر الأسود في مكانه بالكعبة معروفة مشهورة. ولا عجب في عدله صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله بالعدل فيما يأتي من أحكام وتصرفات. قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (الشورى: ١٥).

Upload by : altawhedmag.com

وقال له: «وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» (النساء: ٥٨).

فما كان له صلى الله عليه وسلم أن يخالف أمر ربه في قيامه بالعدل وحكمه به، وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري لما قال رجل من تميم: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل».

وكذلك رواه مسلم في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». (متفق عليه).

وقد كان تحته تسع نسوة فكان يقسم بينهن بالعدل في المبيت والنفقة والكسوة ويتحرى في ذلك منتهى العدل ولا عجب في ذلك فهو صلى الله عليه وسلم القائل كما في حديث أبي هريرة: «من كان له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل». (رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني).

تواضعه صلى الله عليه وسلم:

كذلك ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل في التواضع وخفض الجناح لإخوانه، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء ويعود المرضى ويزور المساكين ويركب الحمار ويردف خلفه ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، فكان يكره أن يكون مميزًا عن إخوانه مع مكانته عند الله، وقد كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم ليقضي لها حاجتها، ومن مظاهر تواضعه: أن الله خيره بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا.

ولا عجب في تواضعه صلى الله عليه وسلم فقد قال عنه ربه: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمران: ١٥٩).

وقال له: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (الشعراء: ٢١٥).

وفي حديث عقبة بن عمرو قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد». (صححه الألباني في صحيح ابن ماجه).

وفي الختام نقول: لقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، جمع الله له كل مكارم الأخلاق وزكاه قائلًا: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤).

وفي الحديث: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي رواية: «صالح الأخلاق». (صححه الألباني في السلسلة الصحيحة).

فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

البرهان الساطع على محبّة النبي الخاتم ﷺ

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع
فرع أخناواي

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على مَن لا نبي بعده؛ سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله والصحابة الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن نعم الله على عباده لا تحصى، ومن أجلها بعثة النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه، قال عز وجل: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» (آل عمران: ١٦٤).

وقد أوجب الله على الأمة طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته، ولا يكمل إيمان أحد حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من أي مخلوق؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». (متفق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)).

ومن مقتضى محبته صلى الله عليه وسلم: التخلق بأخلاقه؛ فهو الأسوة والقدوة في كل أحواله البشرية الخالصة، وحسبه صلى الله عليه وسلم شهادة الله له: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤).

فيرى في رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق هذه الآية في شأنه كله، في مسجده وبيته، في سلمه وحربه، في أصحابه وأهله، في أوليائه وأعدائه، في صبره وحلمه، في قوته وشدته، في رقته وتواضعه، إلى غير ذلك مما أفاء الله عليه صلوات الله وسلامه عليه، من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وجميل الفضائل.

ومن المؤكد أن كل آية نزلت

Upload by : altawhedmag.com

في وصف خُلق من أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه، أو بأمر تربوي أخلاقي أو غيره، ما نزلت إلا والمقصود بها أولًا هم المسلمون، سواءٌ أكانوا من الصحابة أم كانوا ممن خلفهم، ومهمة الرسول تنفيذها ليكون هو القدوة الماثلة أمامهم، فلا يعسر عليهم فهمها، ولا يشق عليهم امتثالها، وهذه هي المزية للتربية الإسلامية.

ولنتدبر في القرآن في منهجه الأخلاقي التربوي، وهو يُشكّل للأمة منهجًا متكاملًا في التربية، أصلها القرآن، ومُنفّذها الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فنقرأ في الحلم والعفو قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ونقرأ قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

فنشعر لو أن جبالًا من الإساءة اجتمعت وتمحضت للسقوط على الرسول صلى الله عليه وسلم لتحطمت أجزاؤها، ولما عثر لها على أثر إلا ما يتحدث به الناس عنها بمثل الحلم الذي ملأ نفسه صلى الله عليه وسلم، وقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير من بعض الأعراب ومن المنافقين والمشركين فما رئي صلى الله عليه وسلم إلا والحلم يملأ صدره ويرسل الكلمات الندية على لسانه فتكون بلسمًا يفتك بكل أذى يقصد به قائله أو فاعله النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينقلب عليه كسيرًا من ندى حلمه صلى الله عليه وسلم ما يبعث السكينة والحب في قلب مؤذيه، ويكون الصحابة من حواليه يرون ويسمعون، فيمضون بها امتثالًا وتحقيقًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك؟ فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء. (متفق عليه: البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧)).

وهكذا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه العفو واقعًا عمليًا.

ونقرأ في الحياء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، فنقرأ في حروفها الحياء ماثلًا أمام أعيننا شاخصًا متحركًا متلفعًا برداء من الصمت البليغ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه. (متفق عليه: البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠)).

فنأخذ الحياء خُلقًا رفيعًا من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، كأنما سمعناه ورأيناه في آنٍ واحد، نأخذ منه كما أخذ أصحابه صلى الله عليه وسلم.

ونقرأ في كرمه صلى الله عليه وسلم: ما رواه جابر رضي الله عنه قال: ما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا. (متفق عليه: البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١)).

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة. (مسلم (٢٣١٢)).

ونقرأ في تواضعه صلى الله عليه وسلم: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله

Upload by : altawhedmag.com

ورسوله». (البخاري (٣٤٤٥)).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر». (صحيح الجامع (١٤٦٨)).

ومع هذه الخصائص والميزات التي سما بها إلى منزلة لا يساويه فيها غيره من أولي العزم من الرسل-فضلًا عمن سواهم-، أضاف إلى ذلك ما يبرئ ساحته من الفخر- وحاشاه من كل ذلك-: فقال: «ولا فخر».

ونقرأ في إيثاره صلى الله عليه وسلم: عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها فخرج إلينا وانها لإزاره، فقال فلان: اكْسُنيها: ما أحسنها! فقال: «نعم» فجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت: لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلًا، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني، قال سهل: فكانت كفنه. (البخاري ٣/١١٣-١١٤).

ونقرأ في زهده صلى الله عليه وسلم: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نارٌ، قال: قلت: يا خالة فما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، وكانت عندهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه. (متفق عليه: البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢)).

ونقرأ في رحمته صلى الله عليه وسلم بالأعداء: عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطعْ أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». (البخاري (١٣٥٦)).

ونقرأ في رفقه صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء، أو سجلًا من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين». (متفق عليه: البخاري (٦١٢٨)، ومسلم (٢٨٤)).

ونقرأ في شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يَذُبُّهنّ عنها، وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي» (مسلم (٢٢٨٥)).

ونقرأ في عدله صلى الله عليه وسلم: عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، وفيه: فكلمه أسامة بن زيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة

Upload by : altawhedmag.com

بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (متفق عليه: البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨)).

ونقرأ في علاقته مع أهله صلى الله عليه وسلم: وهو يتحدث عن نفسه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». (صحيح الجامع (٣٣١٤)).

فكان صلى الله عليه وسلم جميل العشْرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه، وكان مع ذلك يصبر على ما يراه منهن مما لا يسره.

ونقرأ في فراق فلذة كبده وثمرة فؤاده صلى الله عليه وسلم: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك من ذريته وراءه إلا ابنته فاطمة رضي الله عنها فقد أدرك الموت كل بناته وبنيه، فذاق في صبر الأنبياء الجميل مرارة فقدهم، وبكاهم واحدًا تلو الآخر، وما زاد صلى الله عليه وسلم حين مات ولده إبراهيم على قوله: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون». (البخاري (١٣٥/٣)).

ونقرأ في بكائه صلى الله عليه وسلم: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ عليَّ»، قلت يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال: «نعم»، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. (متفق عليه: البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠)).

وقد أراد الله سبحانه أن يرسل نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات لتتربى الأمة على الكمال الأخلاقي الذي اشتملت عليه هذه الصفات، فيكون لها من صفات نبيها منهج تتبعه في حياتها، فتسودها الرأفة والرحمة، فتكون كما وصف الله نبيه وأصحابه، وإن تباعدت بها الأزمان وتناءت بين أفرادها الديار، وذلك قوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

فإذا هي أمة ليست واحدة في دينها وعقيدتها فحسب، بل أيضًا في صفاتها الربانية التي اقتبستها من نبيها صلى الله عليه وسلم؛ فتنشرها بين الأمم قاطبة، وتبشر بها الأجيال القادمة، فتنعطف إليه بإيمان وتسليم لما رأت منها أننا بحاجة إلى تجديد المسار، وتصحيح المواقف، ومدارسة السيرة ما يزيد الإيمان، ويعلو بالأخلاق، ويُقوّم المسيرة. ولا سيما أن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين الأوائل التي كانت تجذب أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، والقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل به سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله.

اللهم ارزقنا حسن التأسي بنبينا قدوتنا وأسوتنا. آمين

Upload by : altawhedmag.com

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

وجوب الإخلاص في العبادة مع ترك المعاصي

قال الله تعالى: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (الزمر: ١١-١٣)

من دعاء النبي ﷺ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا...» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

منزلة البر في الإسلام

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أتى النبيَ صلى الله عليه وسلم رجل، فقال: يا رسول الله إني أصبت ذنبًا عظيمًا فهل من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟» قال: لا. قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم. قال: «فبرها». (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

من أدب رسول الله

قال أنس رضي الله عنه: "خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته".

(صحيح البخاري)

من معاني الأحاديث

في حديث الوسوسة «ذاك صريح الإيمان» يعني أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يُلقيه الشيطان في أنفسكم حتى يصير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلوبكم، ولا تطمئن إليه نفوسكم، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان.

(النهاية لابن الأثير)

من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؛ إلا أنه لا نبي بعدي"

(صحيح البخاري)

Upload by : altawhedmag.com

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

قال الشاطبي: فقد ثبت أن من أقسام البدع ما ليس بمنهي عنه، بل هو مما يُتعبَّد به، وليس من قبيل المصالح المرسلة ولا غيرها مما له أصل على الجملة... كتخصيص ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بالقيام فيها، ويومه بالصيام، أو بركعات مخصوصة.

(الاعتصام للشاطبي)

من تفسير السلف

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (سورة الكهف: ٨٠)؛ أي يحملهما حبّه على متابعته في الكفر. وقال قتادة: لو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض المرء بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

(تفسير ابن كثير)

إعداد/د. علاء خضر

أحاديث باطلة لا تصح

"اختلاف أمتي رحمة" الحكم: لا أصل له. التخريج: لا يوجد في كتب السنة بسند صحيح أو ضعيف. قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٩): "ليس له إسناد صحيح ولا ضعيف" (المقاصد الحسنة)

التوحيد هو الفطرة

قال ابن تيمية رحمه الله: "لقد فطر الله عباده على محبته وعبادته، فإذا تركت هذه الفطرة بلا فساد، كان القلب عارفًا بالله مُحبًا له عابدًا له وحده". (مجموع الفتاوى بتصرف).

من حكمة الشعر

قال ابن السمّاك الواعظ:

يا مدمن الذنب أما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا؟

أغرّك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويكا؟

(حسن الظن لابن أبي الدنيا)

من أقوال السلف

قال مالك بن دينار: قرأت في الحكمة: «يقول الله عز وجل: أنا الله مالك الملوك. قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم».

(الجواب الكافي لابن القيم).

Upload by : altawhedmag.com

مخالفات في هيئة الصلاة على الكرسي

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

استشرى في مساجدنا ظاهرة الكراسي في آخر المسجد، بل وبالغت بعض المساجد فبنوا مقصورة، وجعلوا لها عدة دكك متساوية، وعلى صفوف متباعدة في آخر المسجد، وهذه الهيئة غير مشروعة ولا تصح، وفيها جملة من المخالفات ومنها:

١- مخالفة لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الاصطفاف، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ". صحيح البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٤٣٣).

والمُصلي خلف الصفوف لم يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر للوجوب، فترك هذا المصلي الصف المقدم، وصلى إما منفردًا وحده خلفهم، أو في صف ناءٍ عن الصفوف المتقدمة؛ فلم يكن متبعًا للهدي النبوي في فعله.

٢- يُخشى عليه من وقوع البغضاء والعداوة بينه وبين المصلين، أو تبديل خلقته فيتحول وجهه إلى قفاه. فعن النُّعْمَان بْن بَشِير قَالَ: سمعت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: "لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّه بَيْنَ وُجُوهِكُمْ". صحيح البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦).

ولا شك أن المصلي خلف الصفوف قد خالف الأمر بالتسوية، فأنشأ صفًا متأخرًا ونأى به عن المصلين، ولا بد أن تقع العداوة والشقاق بينه وبينهم؛ لما بينهم من التباعد في الأجساد.

قال ابن دقيق العيد: قَوْلُهُ: "أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّه بَيْنَ وُجُوهِكُمْ"؛ مَعْنَاهُ: إنْ لَمْ تُسَوُّوا؛ لِأَنَّهُ قَابَلَ بَيْنَ التَّسْوِيَةِ وَبَيْنَهُ، أَيْ الْوَاقِعُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: إمَّا التَّسْوِيَةُ، أَوْ الْمُخَالَفَةُ. (إحكام الأحكام: ١/١٣٦).

Upload by : altawhedmag.com

وقال الحافظ: قوله: "أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّه بَيْنَ وُجُوهكُمْ"؛ أي: إن لم تسووا. والمراد: بتسوية الصفوف اعتدال القائمين بها على سمت واحد، أو يراد بها سد الخلل الذي في الصف. (الفتح: ٢/٢٤٢-٢٤٣).

٣- خالف هدي الملائكة في صفها عند ربها، وقد أمرنا بالاقتداء بهم.

فعَنْ جَابِر بْن سَمُرَة قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ؛ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ". قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حِلَقًا فَقَالَ "مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ". قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: "أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا". فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّه وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ: "يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ" (صحيح مسلم: ٤٣٠).

فما أعظم هذا التفرق، يدخل أحدهم المسجد فلا يبادر لإتمام الصفوف الأول، وانما يسرع لمؤخرة المسجد لحجز مقعد في آخر المسجد، وكأن الناس صاروا فريقين أحدهما في أوله، والآخر في مؤخره.

٤-بقدر ما يتأخر عن الصفوف بقدر ما يتأخر عن رحمة الله وفضله.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: "تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ. لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه". (صحيح مسلم ٤٣٨).

إن هذا التأخر لم يكن على نحو تأخر أهل زماننا. لقد كان تأخرًا يسيرًا عن الصف الأول، أما اليوم فبينهم وبين الصفوف الأول مفاوز ومسافات ينقطع دونها صوت الإمام عنهم. فكان أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك حفاظًا على وحدة الجماعة، وتقارب الصفوف والالتئام بين المصلين.

قال النووي: قَوْله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال قوم يتأخرون -أي: عن الصفوف الأول- حتى يؤخرهم- الله تعالى عن رحمته، أو عظيم فضله، ورفع المنزلة، وعن العلم، ونحو ذلك. (شرح النووي ٤/١١٩).

وقال القرطبي: قيل هذا في المنافقين، ويحتمل أن يراد به أن يُؤَخِّرهُمُ الله عَنْ رُتْبَة العُلَمَاء المأخوذ عَنْهُمْ، أَوْ عَنْ رُتْبَة السَّابِقِينَ (المفهم ٤/١٥٠).

٥- الصف المؤخر شر صفوف الرجال.

للصفوف المقدمة في الصلاة فضيلة باهرة، فمن ذلك:

١-حديث أبي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاس مَا فِي النِّدَاء وَالصَّف الْأَوَّل، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِير لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَة وَالصُّبْح لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا" (أخرجه البخاري (٧٢٠)، ومسلم (٤٣٧).

قال النووي: لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفّ الْأَوَّل مِنْ الْفَضِيلَة نَحْو مَا سَبَق، وَجَاءُوا إِلَيْهِ دَفْعَة وَاحِدَة وَضَاقَ عَنْهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَسْمَح بَعْضهمْ لِبَعْضٍ بِهِ، لَاقْتَرَعُوا عَلَيْهِ. (شرح النووي ٤/١١٨).

وأشار الحافظ إلى فوائد هامة للصف الأول فقال: في الحض على الصف الأول المسارعة إلى خلاص الذمة، والسبق لدخول المسجد، والقرب من الإمام، واستماع قراءته، والتعلم منه، والفتح عليه، والتبليغ عنه، والسلامة من اختراق المارة بين يديه، وسلامة البال من رؤية من يكون قدامه، وسلامة موضع سجوده من

Upload by : altawhedmag.com

أذيال المصلين. (فتح الباري ٢/٢٤٤).

فتوى هامة لشيخ الإسلام:

عن أقوام يبتدرون السواري قبل الناس، وقبل تكميل الصفوف ويتخذون لهم مواضع دون الصف، فهل يجوز التأخر عن الصف الأول؟

فأجاب:..... وثبت عنه في الصحيح: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها" وأمثال ذلك من السنن التي ينبغي فيها للمصلين أن يتموا الصف الأول ثم الثاني. فمن جاء أول الناس، وصف في غير الأول فقد خالف الشريعة، وإذا ضم إلى ذلك إساءة الصلاة، أو فضول الكلام، أو مكروهه، أو محرمه ونحو ذلك مما يصان المسجد عنه، فقد ترك تعظيم الشرائع، وخرج عن الحدود المشروعة من طاعة الله، وإن لم يعتقد نقص ما فعله، ويلتزم اتباع أمر الله، استحق العقوبة البليغة التي تحمله وأمثاله على أداء ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، والله أعلم. (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢/٢٦١).

٢-الله وملائكته يصلون على الصف الأول.

عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا فيمسح عواتقنا وصدورنا ويقول: "لا تختلف صفوفكم فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول" متفق عليه.

٦- يُخشى على صلاة المنفرد خلف الصف البطلان.

عن وابصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا صلى وحده خلف الصف فأمره أن يعيد صلاته. (صحيح بطرقه وشواهده: أخرجه أحمد (٤/٢٨)، والترمذي (٢٣١)، وأبو داود (٦٨٢)، وابن خزيمة: ١٥٧٠)

وعن علي بن شيبان أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فصلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فلمح بمؤخر عينيه إلى رجل لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر المسلمين، إنه لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود". قال: ورأى رجلا يصلي خلف الصف فوقف حتى انصرف الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استقبل صلاتك، فلا صلاة لرجل فرد خلف الصف". (صحيح: أخرجه أحمد (٤/٢٣)، وابن ماجه (٨٧١، ١٠٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٦٩).

وقد اختلف أهل العلم في حكم من صلى منفردا خلف الصف، فذهب فريق إلى بطلان صلاته، ودليلهم ما تقدم من الحديث، وذهب آخرون إلى الكراهة ولم يبطلوا صلاته لأدلة، منها: حديث أبي بكرة أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "زادك الله حرصا ولا تعد" (صحيح البخاري (٧٨٣).

قال ابن المنذر: اختلف أهل العلم فيما يجب على من صلى خلف الصف وحده فقالت طائفة: لا يجزئه، هذا قول النخعي، والحكم، والحسن بن صالح، وأحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه، وأبي بكر بن أبي شيبة.

وقالت طائفة: صلاة الفرد في الصف وحده جائزة.

Upload by : altawhedmag.com

وممن رأى ذلك جائزًا الحسن البصري، ومالك، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي.

قال ابن المنذر: صلاة الفرد خلف الصف باطلة؛ لثبوت خبر وابصة، وخبر علي بن الجعد بن شيبان. (الأوسط ٤/٢٠٧).

قلت: وقد علق الشافعي القول به على صحة الحديث، وقد صح، ولكن له توجيه وهو: أنه لا صلاة لمنفرد خلف الصف والصفوف قبله بها الفُرج؛ فإن كان الصف كاملا ولم يجد بُدًّا من الوقوف خلفهم فليُصل ولا شيء عليه؛ لأن الواجب إذا تعذر القيام به سقط، وهو هنا كذلك.

فإذا كان الأمر على هذا الحال فكيف يتساهل العباد في مثل هذه القضية المصيرية، والتي يتوقف عليها صحة الصلاة أو بطلانها، فهو متردد بين أمرين أحلاهما مُرّ، إما أن تكون صلاته باطلة أو مكروهة.

٧- التشبه بالنصارى كما هو الحال في كنائسهم.

من عادات النصارى في الكنيسة أنهم يضعون المقاعد ويرصونها، ويتعبدون عليها جلوسًا وربما قيامًا.

وأما عند المسلمين فالصلاة لها شروط سابقة عليها من الطهارة واستقبال القبلة وغير ذلك، ثم الصلاة عندنا هيئات، فيها القيام والركوع والسجود، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ولم يشرع ترك القيام ولا السجود إلا عند العجز في صلاة الفرض، فلا ينبغي أن تُحوّل مساجدنا من الصلاة على الأرض إلى نصب المقاعد المتلاصقة لذوي الأعذار؛ حتى لا يقع جزء كبير من المصلين في المشابهة، خاصة أنه في بعض المساجد نطرد الفتيان من المسجد، ولا يبقى فيها إلا المرضى والطاعنين في العمر؛ فلو رخصنا لهم ذلك لتحولت صورة المساجد المعتادة إلى صورة مشابهة لما عليه النصارى.

٨-يلي الإمام أفضل الناس، والمتأخر من أهل الفضل فسح المجال لمن دونه بالتقدم.

أهل العلم والفضل مقدمون في كل شيء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩)، والسنة أن يقف أهل الفضل والعلم وحفظة كتاب الله خلف الإمام مباشرة لعلل باهرة، وما يحدث في بعض مساجدنا أننا نرى مقعدًا من أهل الذكر والقرآن يجلس خلف الصفوف، فربما اعتقد بعض العوام أن قعوده في الصف يقطعه، فليتعلم الجاهل وليتنبه الغافل لهذه السنة. قال أبو مسعود: قال كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمسحُ مناكبنا في الصلاة ويقول: "استَوُوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشدُّ اختلافًا. (صحيح مسلم ٤٣٢).

قال أحمد: يلي الإمام الشيوخ وأهل القرآن وتؤخر الصبيان والغلمان. المغني ٢/٤٦.

فهذه جملة من المخالفات التي رأيتها حادثة في مساجدنا والتي يجب على الأئمة وأهل العلم أن يبينوا أمرها للمصلين فهي أمانة ودين أمرنا الله بتبليغه.

أسأل الله أن يصلح مساجدنا من اللغو والعبث والبدع وأن يجعلنا هداة مهتدين. وصلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

قصة مفتراة على الصحابي الجليل علي بن أبي طالب في اعتراضه على البيعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فنواصل في هذا التحرير تقديم البحوث الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والطرقية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد: الشيخ/ علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية يجعل من لا دراية له بالتحقيق يتوهم أن هذه القصة صحيحة، ولكن كما سنبين من التحقيق أنها قصة واهية موضوعة.

٢- من هذه الافتراءات التي جاءت في القصة أن عليًا رضي الله عنه قال: بايع الناس لأبي بكر، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، كما سنبين من المثل: وإن تعجب فعجب أن يفتري هؤلاء القصاص والوضاع هذه الافتراءات التي تتهم الصحابة رضي الله عنهم بالخيانة، وعلى رأسهم الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

٣- ومن هذه الافتراءات التي جاءت في القصة أيضًا أن عليًا رضي الله عنه قال: بايع الناس لعمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف.

٤- وكان لهذه الافتراءات التي جاءت في بعض كتب السنة الأصلية أثرها السيئ؛ حيث يؤمن بها طائفة كبيرة إلى اليوم، وهذه القصة الموضوعة اعتمد عليها الرافضة وأمثالها الذين يبغضون أبا بكر وعمر ووصل بهم الحد إلى لعنهما. يقول الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (١/ ٣٠٠): «الرافضة فرقة متنوعة من الشيعة وانتسبوا كذلك لأنهم باركوا زيد بن علي، ثم قالوا له تبرأ

Upload by : altawhedmag.com

من الشيخين فأبى وقال: كانا وزيري جدي صلى الله عليه وسلم فتركوه ورفضوه». اهـ.

قلت: وهذا ما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٣/٣٥) قال: «وأما لفظ الرافضة فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين عن أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة؛ فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني؟! فسموا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر بن محمد بن علي، والزيدية يتولون زيد أو ينسبون إليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية». اهـ.

٥- قلت: ثم بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٤/٤٣٥) حيث قال:

أ- «فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف ولهذا قيل للإمام أحمد: من الرافضي؟ قال: الذي يسب أبا بكر وعمر. وبهذا سميت الرافضة فإنهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر لبغضهما لهما؛ فالمبغض لهما هو الرافضي».

ب- «وأصل الرافضي من المنافقين الزنادقة فإن ابن سبأ الزنديق أظهر الغلو في عليّ بدعوى الإمامة والنص عليها، وادعى العصمة له». اهـ.

٦- وبين شيخ الإسلام ابن تيمية الأثر السيئ لهذه الفرقة على الحديث النبوي فقال في «الفتاوى» (٦/٢٨٩): «الرافضة كذبوا أحاديث كثيرة جدًا راج كثير منها على أهل السنة، وروى خلق كثير منها أحاديث حتى لا يتميز الصدق من الكذب على أكثر الناس إلا على أئمة الحديث العارفين بعلله متنًا وسندًا».

ثانيا: المتن:

رُوي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني: كنتُ على الباب يومَ الشُّورى، فارتفعت الأصواتُ بينهم، فسمعتُ عليًا يقولُ: بايع النّاسُ لأبي بكر، وأنا والله أَوْلى بالأمر منه وأحقّ منه، فسمعتُ وأطعتُ مخافةَ أن يرجعَ النّاسُ كفّارًا يضربُ بعضُهم رقابَ بعض بالسّيف ثمّ بايع النّاسُ عمرَ، وأنا والله أَوْلى بالأمر منه، وأحقُّ منه، فسمعتُ وأطعتُ مخافةَ أن يرجعَ النّاسُ كفّارًا يضربُ بعضُهم رقابَ بعض بالسّيف، ثمّ أنتم تُريدون أن تُبايعوا عثمانَ إذنْ أسمعُ وأُطيعُ، إنّ عمرَ جعلني في خمسة نفر أنا سادسُهم لا يُعرفُ لي فضلٌ عليهم بالصّلاح، ولا يعرفونه لي، كلُنا فيه شرْعٌ سواءٌ، وايمُ الله لو أشاءُ أن أتكلّمَ ثمّ لا يستطيعُ عربيُهم وعجميُهم ولا المعاهدُ منهم ولا المشركُ ردَّ خَصلة منها لفعلتُ، ثمّ قال نشدتُكم بالله أيُها النّفرُ جميعًا، أفيكم أحدٌ آخى رسولُ الله غيري؟ قالوا: لا، ثمّ قال: نشدتُكم بالله أيُها النّفرُ جميعًا، أفيكم أحدٌ له عمٌّ مثلُ عمّي حمزةَ، أسد الله وأسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيّد الشُّهداء؟ قالوا: اللّهمّ لا، فقال: أفيكم أحدٌ له أخٌ مثلُ أخي جعفرٍ ذي الجناحَيْن المُوشّى بالجوهر، يطيرُ بهما في الجنّة حيث شاء؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: أفيكم أحدٌ له مثلُ سبطَيْ: الحسن والحسين سيّدَيْ شباب أهل الجنّة؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: أفيكم أحدٌ له مثلُ زوجتي فاطمةَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: أفيكم أحدٌ كان أقتلَ لمشركي قريش عند كلّ شديدةٍ تنزلُ برسول الله صلى الله عليه وسلم منّي؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: أفيكم أحدٌ كان أعظمَ عناءً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اضطجعْتُ على فراشه ووقيْتُه

Upload by : altawhedmag.com

بنفسي، وبذلتُ له مُهجة دمي؟ قالوا: اللَّهمَّ لا. قال: أفيكم أحدٌ كان يأخذ الخمس غيري وغير فاطمة؟ قالوا: اللَّهمَّ لا. قال: أفيكم أحدٌ كان له سهمٌ في الحاضر وسهمٌ في الغائب؟ قالوا: اللَّهمَّ لا. فقال: أكان أحدٌ غيري حين سدَّ أبواب المهاجرين وفتح بابي، فقام إليه عمّاه حمزة والعبّاس، فقالا: (يا) رسول الله سددتَ أبوابنا وفتحتَ باب عليّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا فتحتُ بابه، ولا سددتُ أبوابكم، بل الله فتح بابه وسدَّ أبوابكم. فقالوا: اللَّهمَّ لا قال: أفيكم أحدٌ تمم الله نوره من السَّماء غيري حين قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْفُرْقَانُ حَقُّهُۥ﴾ (الإسراء: ٢٦) قالوا: اللَّهمَّ لا. قال: أفيكم أحدٌ ناجاه رسول الله ثنتيْ عشرة مرَّة غيري حين قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة: ١٢) قالوا: اللَّهمَّ لا. قال: أفيكم أحدٌ تولى غمض رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري؟ قالوا: اللَّهمَّ لا. قال: أفيكم أحدٌ آخرُ عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعه في حفرته غيري؟ قالوا: اللَّهمَّ لا.

ثالثا: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢١١/١)، قال: حدثنا محمد بن أحمد الوراميني، قال: حدثنا يحيى بن المغيرة الرازي قال: حدثتنا زافر عن رجل عن الحارث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني قال أبو الطفيل: «كنت على الباب يوم الشورى...» الحديث.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣٣/٤٢) قال: «أخبرنا: أبو البركات الأنماطي، أنبأنا أبو بكر محمد بن المظفر أنبأنا أبو الحسن العتيقي أخبرنا يوسف بن أحمد، أخبرنا أبو جعفر العقيلي به».

رابعا: التحقيق:

هذا الحديث الذي جاءت به القصة حديث باطل منكر وسلسل بالعلل.

١- قوله في السند عن يحيى بن المغيرة عن زافر عن رجل عن الحارث بن محمد. قوله «عن رجل» يجعل هذا الحديث مبهمًا، يقول البيقوني في منظومته «ومُبْهَم ما فيه راوٍ لم يُسَمَّ». وهو من أشد أنواع المجهول، حيث لم يصرح باسم الراوي في الحديث، وحكم روايته عدم القبول.

٢- حاول بعض المدلسين أن يجوّد هذا السند فيسقط الرجل المبهم، فقال عن محمد بن حميد حدثنا زافر حدثنا العارف بن محمد فرد عليه العقيلي تدليسه، وقال: الصواب ما قال يحيى بن المغيرة، ويحيى بن المغيرة ثقة، فبقي الحديث على الراوي المبهم.

وقال الإمام العقيلي: «وهذا الحديث لا دخل له عن عليّ».

٣- وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٤١/١): محمد بن حميد أسقط الرجل المبهم ليجوّد السند فأفسده، فهو خبر منكر، ثم ذكر القصة كاملة وقال: «هذا غير صحيح، وحاشا أمير المؤمنين من قول هذا، ولهذا قال الإمام العقيلي: هذا الحديث لا أصل له عن علي».

٤- ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٩٩/٢) ما قاله الإمام الذهبي في «الميزان» وأقره، وبيّن أن الحديث غير صحيح.

والعلة الثانية: أن العارف مجهول، كما قال العقيلي، وهو مجهول العين، وأقره الحافظ في «اللسان».

وبهذا يتبين أن هذا الخبر كذب مُختلق مصنوع على عليّ رضي الله عنه.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

Upload by : altawhedmag.com

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

«آخر من يدخل الجنة رجل يقال له جهينة؛ فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين».

الحديث لا يصح؛ أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «الخطيب في الرواة عن مالك عن ابن عمر».

قلت: قول الإمام السيوطي: «الخطيب في الرواة عن مالك عن ابن عمر». اهـ.

هذا يعني: أن الحافظ الخطيب البغدادي أخرج هذا الحديث في كتاب «الرواة عن مالك» عن ابن عمر.

وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التخريج أنه حديث موضوع.

التخريج:

١- قال السيوطي أخرجه الحافظ الخطيب في «الرواة عن مالك» عن ابن عمر. وبيَّن ذلك الحافظ محمد بن المظفر المتوفى سنة ٣٩٧هـ في كتابه «غرائب مالك» (٢٤١/١) ط: «دار السلف بالرياض بالسعودية».

فقال حديث أبي علي الحسين بن يوسف ين يعقوب المصري، نا جامع في سواده، نا زهير ابن عباد، نا أحمد بن الحسين اللهبي عن عبد الملك بن الحكم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا.

قلت: وطريق ابن المظفر في غرائب مالك هو نفسه طريق الخطيب في كتاب «رواة مالك» عن ابن عمر كما بين ذلك المناوي في «فيض القدير» (٣٩/١) ح(١٠١٩)، حيث قال: «أخرجه الخطيب في كتاب أسماء الرواة عن مالك، من وجهين: من حديث عبد الملك بن عبد الحكم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا. ومن حديث جامع بن سوادة عن زهير بن عباد عن أحمد بن الحسين اللهبي عن عبد الملك بن الحكم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا.

٢- ثم قال المناوي فأخرجه الدارقطني من هذين الوجهين في «غرائب مالك» المتوفى (٣٨٥هـ).

ثانيا: التحقيق:

١- قال الحافظ في «اللسان» (١١٩/٢) (١٨٩٦/٢٩): جامع بن سوادة يروي له الدارقطني في «غرائب مالك» حديثًا من وجهين عنه عن زهير بن عباد عن أحمد بن الحسين اللهبي عن عبد الملك بن الحكم عن مالك بن نافع عن ابن عمر رفعه «آخر من يدخل الجنة رجل يقال له...» الحديث.

ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الدارقطني أنه قال: «هذا حديث باطل، وجامع ضعيف، وكذا عن عبد الملك بن الحكم».

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 1

شؤم المعصية

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

الحمد لله رب العالمين: «غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (غافر: ٣)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الثقلين الجن والإنس لغاية ومقصد شرعي كلفهم به، وهو عبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، ولذلك بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل إليهم الكتب فيها المنهاج المستقيم، وجعل لعباده المتقين جنة عرضها السماوات والأرض يخلدون فيها، وأعد للكافرين نارًا وقودها الناس والحجارة يخلدون فيها أبدًا.

وعبادة الله التي رتَّب عليها الفوز بالجنة، والنجاة من النار إنما تكون باتباع رسله وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وصرف العبادة لله وحده لا شريك له.

ومعصية الله التي رتب عليه دخول النار والخلود فيها، وتحريم الجنة، وإحباط العمل إنما تكون بالكفر بالله العظيم، قال تعالى: «إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ» (المائدة: ٧٢)، وقال: «وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ» (الأعراف: ٤٠)، وقال: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا» (الفرقان: ٢٣).

وأما ما دون الكفر من المعاصي التي يقترفها المؤمنون، وإن عظمت، ثم يموتون دون التوبة منها، فأصحابها تحت المشيئة؛ إن شاء الله عفا عنهم، فغفر ذنوبهم، وأدخلهم الجنة، وإن شاء آخذهم بها، فعاقبهم عليها، وأدخلهم النار، وذلك من شؤم المعصية في الآخرة.

Upload by : altawhedmag.com

ولعظم خطورة المعاصي على المخلوقين فإن الله تعالى قد ذكرها في كتابه بأسماء كثيرة تُبيّن قبحها وشؤم عاقبتها في الدارين: الدنيا، والآخرة.

فمن أسمائها التي سميت بها في كتاب الله عز وجل: السَّيِّئة، والحرام، والفسوق، والفساد، والإثم، والذنب، والمعصية، والجُرم، والوزر، والخطيئة، والفجور، والمنكر، والفاحشة، والخبث، والشَرّ، واللَمم، والحِنْث، والحوب، والعتو، والبغي، وغيرها من الأسماء القبيحة؛ تنفيرًا من الوقوع في المعاصي.

وقد بيَّن الله ما يترتب على هذه المعاصي: من بُغْض الله للعبد، وغضبه عليه، وطرده من رحمته، ولعنه، ودخوله النار، وشدة عذابه فيها... وغيرها من العقوبات.

ووصف للمكلفين النار، وشدة حرّها، وبُعد قعرها، وشدة العذاب فيها، وتنوّعه، وقسوة زبانيتها، وعظم كربها، ومهانة المعذبين فيها، ترهيبًا من الإثم، وإنذارًا للخلق.

وبيّن لهم عاقبتها السيئة في الدنيا، وأنها تمحق البركة، وتحرم الرزق، وتجلب الأسقام، وتزيل المهابة من قلوب الخلق، وتجلب الهمّ والغم والكرب والضنك، وتوجب قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب وقسوته، وخمول الذكر، واضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وربه، ومنع إجابة الدعاء، وحرمان العلم، ولباس الذل، واهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء، وتعسير الأمور، وضعف الهمة في الطاعات، وحرمان الطاعة، وغيرها.

وبيّن لهم أنه عدل يكتب السيئة بمثلها، ويضاعف الحسنات، ويقبل التوبة عن عباده، ويغفر السيئات، ويكفر الخطايا والفواحش والموبقات وان عظمت، ويبدل السيئة حسنة لمن تاب.

أقسام الذنوب:

إذا عرفت هذا، فاعلم أن الناظر المُسْتَقْرئ لكتاب الله عز وجل ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يجد أن للمعاصي أنواعًا كثيرة، يمكن ردّها لستة اعتبارات، سوف أسوقها مجموعة ملخصة مما تفرق من أقوال أهل العلم في هذه الأسطر.

الاعتبار الأول: باعتبار جنس المعصية: فهي بهذا الاعتبار ترجع إلى نوعين: الأول: ترك المأمور، الثاني: فعل المحظور، وكل الذنوب تعود إلى أحد هذين النوعين:

النوع الأول: المعاصي المتعلقة بترك واجب أمر الله به، كترك الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وحفظ الأمانات والعهود والمواثيق وغيرها من الواجبات الشرعية.

فهذا النوع من نوعي المعاصي هو من أعظمها وأكبرها، ومن أمثلة الوعيد على ترك المأمور قوله تعالى متوعدًا مَن تعدّى حدوده في الميراث: «وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (النساء: ١٤)

النوع الثاني: المعاصي المتعلقة بفعل محظورٍ نهي الله عنه، كالسرقة، والزنا، والغيبة، والنميمة، والحسد، والكبر، والغل، والاعتقادات الفاسدة...

الاعتبار الثاني: باعتبار لحوق المغفرة بفاعلها

Upload by : altawhedmag.com

فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى نوعين: الأول: ذنب لا يغفره الله، والثاني: ذنب يدخل تحت المشيئة:

النوع الأول: الذنب الذي لا يغفر ويوجب الخلود في النار إن مات عليه صاحبه: هو الشرك الأكبر.

قال الله تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢)، وقال سبحانه: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» (البقرة: ١٦١، ١٦٢).

النوع الثاني: ذنب يُرجى أن يغفره الله وان مات صاحبه مصرًا عليه، وهو سائر الذنوب والخطايا والموبقات، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا» (النساء: ٤٨).

الاعتبار الثالث: باعتبار جسامة الذنب وعظمه، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى نوعين: كبائر، وصغائر:

ومن أدلة تقسيمها إلى هذين القسمين: قوله تعالى: «إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا» (سورة النساء: ٣١)، وقوله تعالى: «وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» (سورة الكهف: ٤٩)

١- الذنوب الكبائر، وهي كل معصية وجبت فيها الحدود، أو توجه إليها الوعيد، أو لُعن فاعلها، أو سُمّيت كبيرة نصًا، وبعض هذه الذنوب أكبر من بعض، فمنها: الكبائر، كالتبرج، ومنها أكبر الكبائر، كعقوق الوالدين، وأكل الربا، ومنها الفواحش، كالزنا واللواط، ومنها الموبقات، كالسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والتولي يوم الزحف.

٢- الذنوب الصغائر، وبعضها يقترب من الكبيرة، وبعضها أصغر وهي اللمم، وهذه الذنوب إذا اجتمعت إلى بعضها أو أصر على فعلها أهلكت العبد؛ لحديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادًا؛ فأجّجوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها» (أخرجه أحمد (٣٨١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٠٠)).

وهذه الذنوب قد يغفرها الله تعالى مع عدم الإصرار عليها إذا اجتنبت الكبائر، قال الله تعالى: «إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا» (النساء: ٣١)، وقال: «ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ» (النجم: ٣٢)، وتُكفرها الأعمال الصالحات، قال تعالى: «وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ» (هود: ١١٤)

الاعتبار الرابع: اعتبار أنواع الذنوب من حيث تعلقها بالعاصي، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى نوعين: ذنوب باطنة، وذنوب ظاهرة:

١- معاصي تتعلق بالباطن (قلبية)، وهي نوعان:

Upload by : altawhedmag.com

النوع الأول: معاصي قلبية تخرج من الملة، وتستوجب الخلود في النار إن مات عليها صاحبها، كالشك، والنفاق، والشرك. كقول قوم موسى له: «وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ» (إبراهيم:٩). وقوله تعالى في أصحاب الريب والشكوك: «وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ حَفِيظٞ» (سبأ:٢٠- ٢١).

ومن الأدلة على خلود المشركين في النار قوله تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ» (المائدة: ٧٢).

النوع الثاني: ما دون المخرج من الملة من المعاصي الباطنة وإن كان كبيرًا عند الله، كالغل، والكبر، والرياء، والاعتقادات الفاسدة، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم.

ومن أدلة عظم هذه المعاصي عند الله، قوله تعالى في القنوط من رحمته: «قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ» (الحجر: ٥٦)، وقوله: في اليأس من روحه: «إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ» (يوسف: ٨٧)، وقوله في الظن السيء في الله: «يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ» (آل عمران: ١٥٤)، وقوله في الظنون السيئة في المؤمنين: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ» (الحجرات: ١٢).

٢- معاصي تتعلق البدن، كاليد، والرجل، واللسان، والبطن، والفرج، كالسرقة، والزنا، والسعي إلى الحرام وغير ذلك من الذنوب الكثيرة سواء كانت من الكبائر أو الصغائر.

الاعتبار الخامس: اعتبار أنواع الذنوب من حيث وقوعها، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى نوعين: معاصي يأتيها العاصي جهرة، ومعاصي يستتر بها، وهي معاصي السر:

١- المعاصي التي يأتيها صاحبها جهارًا على رؤوس الأشهاد، ولا يختفي بها، وهي أخطر النوعين، وهذه المعاصي تهون المعصية على الناس حتى يألفوها، وصاحبها ممن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولذا فإنه قد جاء في صاحبها وعيد عظيم، قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ» (النور: ١٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه». (أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٧٥٩٤)).

٢- معاصي السرّ التي يختفي بها صاحبها، وهذه المعاصي وإن كانت أقل ضررًا من النوع الأول إلا أن خطرها على فاعلها عظيم، حتى تكون محبطة للأعمال الصالحة، فعن ثوبان، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثورًا. قال ثوبان: يا

Upload by : altawhedmag.com

رسول الله: صِفْهم لنا جَلِّهم لنا؛ ألَّا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها». (أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، والطبراني المعجم الأوسط (٤٦٣٢)، وفي مسند الشاميين (٦٨٠)).

الاعتبار السادس: اعتبار أنواع الذنوب من حيث تعلق الحق بها، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى نوعين: معاصي تتعلق بحقوق العباد، ومعاصي تتعلق بحقوق الله:

١- معاصي تتعلق بحقوق العباد، وهي قسمان:

أ- معاصي تتعلق بالحقوق المادية، مثل: السرقة، والغش، والخيانة، وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على أبدانهم بالقتل أو ما دونه كإتلاف عضو، أو الاعتداء عليهم بالضرب أو التسبب في عاهة...

ب- معاصي تتعلق بالحقوق المعنوية للعباد، كالغيبة، والنميمة، والقذف، والهمز، واللمز، والسخرية، والسب...

وهذه المعاصي خطيرة، ويشترط في كمال التوبة منها أن تُرَدَّ المظالم في الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل ألَّا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فحمل عليه». (أخرجه البخاري (٢٤٤٩)).

قال القرطبي في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٢٠٠) عند تفسير قول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ» (التحريم: ٧): «فإن كان الذنب من مظالم العباد: فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه، والخروج عنه-عينًا كان أو غيره-، إن كان قادرًا عليه، فإن لم يكن قادرًا فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه.

وإن كان أضر بواحد من المسلمين، وذلك الواحد لا يشعر به أو لا يدري من أين أتي، فإنه يزيل ذلك الضرر عنه، ثم يسأله أن يعفو عنه ويستغفر له، فإذا عفا عنه فقد سقط الذنب عنه. وإن أرسل من يسأل ذلك له، فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه-عرفه بعينه أو لم يعرفه-؛ فذلك صحيح.

وإن أساء رجل إلى رجل بأن فزَّعه بغير حق، أو غمَّه أو لطمه، أو صفعه بغير حق، أو ضربه بسوط فآلمه، ثم جاءه مستعفيًا نادمًا على ما كان منه عازمًا على ألا يعود، فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفا عنه، سقط عنه ذلك الذنب. وهكذا إن كان شَانَه بشَتْم لا حدَّ فيه».

٢- معاصي تتعلق بحقوق الله، وهي تشمل كل ما نهى الله عنه من الأفعال، والأقوال، والاعتقادات الفاسدة.

وهذه الذنوب تحت المشيئة إذا كانت دون الشرك ومات العبد دون أن يتوب منها، وأما إن تاب منها فإن الله يغفرها بفضله؛ قال الله تعالى: «قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ» (الزمر: ٥٣).

هذا ما يسره الله تعالى في هذه الأسطر، والله أعلم وأحكم، وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

إطلاق لفظ (الحدّ) على الله بين النفي والإثبات

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فعلى إثر معرفتنا أن الطريقة المثلى للتعامل مع الألفاظ المجملة ومصطلح (الحدّ) واحد منها- هي: الاستفصال؛ فلا يُطلق حتى يُنظر في مقصود قائلها؛ فإن كان يعني به معنى باطلًا رُفض، وإن حمل معنى صحيحًا واضطر مستعمله لأن يخاطب به من لا يتم المقصود معه؛ إن لم يُخاطب بها من منكري علوه تعالى وفوقيته؛ قبل ولا يُحكم عليه بكفر، وإن كان من الأولى الاستعاضة والتعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة.

أقول: على إثر ذلك نستطيع أن نخلص إلى ألا تعارض في استعماله مع مراعاة القيود السالفة الذكر كما سبق أن مثلنا بالإمامين ابن المبارك وأحمد. وألا مانع من التلفظ به بحق الله إن كان القائل به يعني: (المباينة والانفصال) أي: باين عن خلقه بحد فاصل بين الخالق والمخلوق. فلا يحل شيء من المخلوقات بذاته كما أنه لا يحل بشيء من خلقه ولا يتحد به. فهذا معنى صحيح، يُخبر به عن الله تعالى وإن لم يكن صفة ثبوتية تضاف إليه. وأن هذا هو قول أهل السنة والجماعة. ويرد من خلاله على من ينكر علو الله تعالى واستوائه على عرشه وفوق سماواته ومباينته في كل ذلك لخلقه. وأما إن قصد به معنى: (التحديد والتشبيه) فهذا مرفوض من قائله ولا يقبل منه بحال.

الدارمي يلتمس عذر من نطق بالحد من أئمة أهل السنة ويكشف عما وراء إنكاره:

وفي خطوة لها من الأهمية ما لها، يكشف أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي أحد أئمة أهل السنة ورواة الحديث (والمتوفى ٢٨٠هـ) في (نقضه على بشر المريسي)، يكشف عما وراء الاضطرار لاستعمال مصطلح (الحد)، ويلتمس العذر لمن أقرّ بهذا اللفظ المجمل من أئمة اهل السنة، فيقول:

"وادّعى المعارض أيضا أنه ليس لله حدٌ ولا غاية ولا نهاية، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته واشتق منها أغلوطاته، وهي عبارة لم يبلغنا أن أحدا من العالمين سبق جهما إليها.. فقال له قائل ممن يحاوره: قد علمت مرادك بها أيها الأعجمي، وتعني: أن الله لا شيء، لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم (الشيء) إلا وله حدٌ وغايةٌ وصفةٌ، فـ(الشيء) أبدا موصوف لا محالة، ولا شيء يوصف بلا حدٍ

Upload by : altawhedmag.com

ولا غاية. وقولك: (لا حدّ له)، يعني: أنه لا شيء. قال أبو سعيد: والله تعالى له حدٌ لا يعلمه أحدٌ غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه، ولكن يؤمن بـ(الحد) ويكل علم ذلك إلى الله، ولمكانه أيضا حدٌ؛ وهو: على عرشه فوق سماواته، فهذان حدّان اثنان. وسئل ابن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه. قيل: بـ(حدٍ)؟ قال: بـ(حد)... فمن ادعى أنه ليس لله حد فقد رد القرآن، وادعى أنه لا شيء، لأن الله حدّ مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (طه: ٥)، «ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ» (الملك: ١٦)، «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ» (النحل: ٥٠)، «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» (آل عمران: ٥٥)، «إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ» (فاطر: ١٠)، فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحدّ".

كما ساق رحمه الله من أدلة السنة على ذلك: "قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله فوق عرشه، فوق سماواته)، وقوله للأمة السوداء: (أين الله؟)، قالت: في السماء، فقال: (اعتقها فإنها مؤمنة)، فقول رسول الله: (إنها مؤمنة)، وإنها لو لم تكن تؤمن بأن الله في السماء لم تكن مؤمنة، وأنه لا يجوز في الرقبة إلا من يحدّ الله أنه في السماء كما قال الله ورسوله.

وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبيه: (كم تعبد اليوم إلهًا؟) قال: سبعة، ستة في الأرض وواحدٌ في السماء، قال: (فأيهم تعدّه لرغبتك ولرهبتك؟)، قال: الذي في السماء، فلم ينكر النبي على الكافر أن عرف أن إله العالمين في السماء كما قال صلى الله عليه وسلم.

فحصين الخزاعي وقد كان يومئذ على كفره: أعلم بالله الجليل الأجل: من المريسي وأصحابه مع ما ينتحلون من الإسلام: إذ ميّز بين الإله الخالق الذي في السماء: وبين الآلهة والأصنام التي في الأرض مخلوقة.. واتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء: وحدّوه بذلك، إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية" اهـ من رد الدارمي على المريسي وهو بمجموعة (عقائد السلف) للنشار والطالبي ص٢٩٥، ٢٩٦ ط.دار السلام.

والدارمي بهذا فضلًا عنه أنه قد وضع أيدينا على السبب الذي لأجله اضطر من فاه من أئمة أهل السنة إلى استعمال هذا اللفظ المجمل: فإنه عدّ إثبات فوقيته سبحانه وعلوه على عرشه فوق سماواته بلا كيف (حدًا)، ولا مشاحة عنده في الاصطلاح. فإذا ما أضفنا إلى ذلك معرفة أن الناس في إثبات فوقيته تعالى وعلوه على خلقه ما بين معطل: وما بين قائل بأن الله في كل مكان: لزاد اعتذارنا لمن أثبت من قبل أئمة أهل السنة وأصحاب الآثار: (الحدّ) لله.

أقسام نفاة صفة العلو ودحض أدلتهم:

ذلك أن المعطلة والنفاة لصفة علوه سبحانه وبينونته من خلقه: انقسموا إلى قسمين: المشتغلين بعلم الكلام والفلسفة من المتكلمة، فإذا قالوا: (إن الله عز وجل ليس في العلو)، قال لهم الناس: أين هو؟ قالوا: (لا داخل العالم ولا خارج العالم)! فهؤلاء هم المشتغلون بعلم الكلام والفلسفة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

وأما المشتغلون بالتصوف والتعبد إذا سُئلوا فقيل لهم: أين من تعبدون؟، قالوا: في كل مكان؟! فالقول الأول والقول الثاني يتفقان على نفي العلو عن الله، ولكن كل قول من الأقوال له جهة سببها منهج الدراسة والتعليم، فالذين قالوا: إن الله لا خارج العالم ولا داخل العالم: سببُ قولهم هذا: هو: دراستهم لعلم الكلام: وعلم الكلام والفلسفة يتجه نحو التجريد والإيمان بالخيالات، والإيمان بالمتناقضات، ولهذا قالوا: (لا داخل العالم ولا خارج العالم).

وأما المشتغلون منهم بالتعبد، فإن التعبد يقتضي وجود إله معبود: فإنه لا يمكن أن يقولوا: إنه لا

Upload by : altawhedmag.com

داخل العالم ولا خارج العالم. فسيقال لهم: وأين هو؟ وكيف تعبدونه؟ وكيف تتوجهون إليه. وهو لا داخل العالم ولا خارجه؟. فاضطروا إلى القول بأنه في كل مكان. ولهذا قالوا: (هو في كل مكان) بل صرح بعضهم بـ(أنه موجود بذاته في كل الوجود). وهذا معناه حلول الله في مخلوقاته. وأنه محاط بالجهات الست المخلوقة.

على أن دليل الفطرة والأدلة العقلية - ومن غير الاتكاء على مصطلح الحدّ - يشهدان ببطلان كلام المعطلة والمتصوفة في إنكارهم صفة العلو لله وأنه تعالى على عرشه فوق سماواته.. فعلى غرار الحوار الذي أجراه الدارمي مع المريسي، يُحكى عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: "جاءني رجل من نفاة العلو، وكانت له حاجة عندي، فكنت أماطله حتى ضاق صدره، فلما ضاق صدره ونظر إلى السماء، فقلت له: (إلى أين تنظر وأنت لا تثبت أن في السماء إلهًا، وانما هو في كل مكان، أو لا هو خارج العالم ولا هو داخل العالم؟)". فكان هذا من أعظم الأسباب التي جعلته يتراجع عن هذه العقيدة؛ لأنه شعر أنها تخالف الفطرة التي خلقه الله عليها.

آثار السلف في إثبات الحد لله تعالى ووجه نفيه أحيانًا على ألسنتهم:

ومهما يكن من أمر؛ فإنه ومن غير ما سبق أن ذكرناه لأئمة أهل السنة عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل والدارمي في إثبات (الحد) لله تعالى، جاء عن شيخ البخاري ومسلم (إسحاق بن راهويه) ت٢٣٨ في (مسائل حرب الكرماني) (١٧٧٥) قال: "قلت لإسحاق: الله على العرش بحدٍ؟. قال: (نعم؛ بحدٍ). وذكر عن ابن المبارك قوله: (هو على عرشه، بائن من خلقه بحد)".. ولحرب في كتابه (إجماع السلف في الاعتقاد) ص٥٧ قول إسحاق بن راهويه: "لله عز وجل عرش، وللعرش حملة يحملونه.. وله - سبحانه - حدٌ. الله أعلم بحدّه". كما أورد ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٥٨) مقولة ابن المبارك وزاد في إعجاب أحمد بمقولته: "ثم قال أبو عبد الله: «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» ثم قال: «وجاء ربك والملك صفًا صفًا»".

وممن أثبته وبشدة وتعصب شديدين: (يحيى بن عمار السجزي). فقد جاء عن ابن عساكر فيما أورده بسنده عن الإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري. قال: سألت يحيى بن عمار عن أبي حاتم بن حبان البستي قلت: رأيته؟. قال ابن عمار: "وكيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان. كان له علمٌ كثير ولم يكن له كبيرُ دين. قدم علينا فأنكر (الحدّ) لله عز وجل، فأخرجناه من سجستان".. كذا في (تاريخ دمشق) لابن عساكر (٥٢/ ٢٥٣). وينظر بشأنه سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ١٦/ ٩٧.

وللبيهقي في الأسماء والصفات ص٥٨٠ قوله: بعد سوقه لعبارة ابن المبارك (هو في السماء على عرشه) من رواية علي بن الحسن. قال: قلت لابن المبارك: فإن الجهمية تقول: (هو هذا)- يعني: في كل مكان. وفي رواية: (وأشار إلى الأرض) - قال: (إنا لا نقول ما قالت الجهمية: إنه هاهنا معنا في الأرض. نقول: هو هو) - يعني: كما أخبر عن نفسه: أو كما جاء في بعض الروايات: فوق السماء السابعة على عرشه - قلت: بحدٍ؟. قال: (إي. والله بحدٍ)".

ولابن تيمية في أن لله حدًا لا يعلمه أحد غيره. قوله في (درء تعارض العقل والنقل٦/ ٣٠١): "وهذا قول السلف والأئمة وأهل الحديث والكلام والفقه والتصوف" ا.هـ. وكان رحمه الله قد ذكر في درء التعارض ٢/ ٣٤. قول ابن المبارك: (نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه بحدٍ. فقال أحمد: هكذا هو عندنا). غير أنه زاد في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٦١٤ عبارة: "فقلنا له - يعني لأحمد - ما معنى قول ابن المبارك (بحد)؟ قال: (لا أعرفه؛ ولكن لهذا شواهد من القرآن في خمسة

Upload by : altawhedmag.com

مواضع: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (فاطر: ١٠) - أي: يرفعه الله إليه -، «أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ» «أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ» (الملك: ١٦، ١٧)، «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ» (المعارج: ٤)".

إثبات الحد يصح من وجه ويبطل من وجه، وهو في النهاية لفظ مبتدع:

وهذا التحفظ والاستدراك من الإمام أحمد في عبارته السالفة الذكر - وهو الذي سبق أن أثبت (الحد) لله تعالى - يقرّبُنا من وجه نفيه إياه عن الله في عبارات له أخرى، وذلك إذا أريد بـ(الحد) معنى: (الإحاطة) أو (الحلول) وهو ما ذهب إليه المعطلة والمتصوفة، فعنه فيما أخرجه الذهبي في العلو ص١٣٠ واللالكائي في أصول السنة (٦٧٥) وغيرهما - وقد سئل عن معنى: «وَهُوَ مَعَكُمْ» (الحديد: ٤)؟ - قال: "علمه، عالم بالغيب والشهادة، علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد - وهذا نفيٌ لإحاطة الخلق به بغرض نفي الحلول والرد على من قالوا إنه بذاته معنا وفي كل مكان، فهو نفي إحاطة علم الخلق به - ولا صفة - يعني: لم يخبر بها عن نفسه كون عقول الخلق لا تحيط بصفاته - وسع كرسيه السماوات والأرض بعلمه".. وهو في معنى قوله كما في طبقات الحنابلة ١/ ٢٤ بعد كلام طويل: "الله تعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، ويعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان".

وفي رواية أبي الفضل التميمي من كتاب (اعتقاد المنبل أحمد بن حنبل) ص٢٨ وما بعدها، يقول رحمه الله: "إن الله موصوف بما أوجبه السمع والإجماع وذلك دليل إثباته، وفي صفات الله ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالسمع)، ومذهبه: أن لله وجها لا كالصورة والأعيان المخططة، ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد، ومن غيّر معناه فقد كفر، وكان يقول: (إن لله يدين، وهما صفة في ذاته ليستا بجارحتين ولا بمركّبتين ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح).. وسئل قبل موته بيوم عن أحاديث الصفات، فقال: (تُمرُّ كما جاءت ونؤمن بها ولا نَردُّ منها شيئًا إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ومن تكلم في معناهما: ابتدع)، وكان يقول: (أصحاب الحديث أمراء العلم)".

وله قوله - وقد سئل: (الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟)-: "نعم هو على عرشه ولا يخلو منه شيء"، وقوله لمن فسر آية المجادلة/ ٧: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.. الآية)، بأنه في كل مكان: "هذا كلام الجهمية، بل علمه معهم، فأول الآية يدل على أنه: علمه".

وفي رواية لحنبل: يقول أحمد عن أحاديث النزول وأن الله يُرى وأنه يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث: "نؤمن بها ونصدق بها ولا نَرُدُّ منها شيئًا، ونعلم أن ما جاء به رسول الله حق إذا كانت أسانيد صحاحًا، ولا نَرُدُّ على الله قوله، ولا يوصف سبحانه بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يبلغُ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث.. ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت".

ونقل حنبل في موضع آخر عنه قوله: "ما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يُرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حدّ إلا ما وصف به نفسه".. الأمر الذي يؤكد أن إثبات (الحد) يصح من وجه ويبطل من وجه، وأنه لا يجوز بحال لمن أنكره: أن يتهم من أثبته بكفر ولا بتجسيم ولا بتشبيه ولا ما شابه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأطفال

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، خير مُعلّم للبشرية، لم تعرف البشرية معلمًا قبله ولا بعده خيرًا منه.

وبعد: فهذه تأملات سريعة في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة الأطفال، نبدأها بسؤال للتبيين والتوضيح:

إعداد: الشيخ/ صلاح عبد الخالق

أولًا: ما الفرق بين الطفل والغلام والصبي؟

-«طفل (مفرد): ج أطفال: ولد صغير يتراوح عمره بين الولادة والبلوغ "وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا» (النور: ٥٩).

«معجم اللغة العربية المعاصرة» (٢/ ١٤٠٥).

-«غلام (مفرد): ج أغلمة وغلمان وغلْمة: صبيُ حين يُولد إلى أن يشبّ أو حين يقارب سنّ البلوغ، " «فبشرناه بغلام حليم»، «وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ» (الكهف: ٨٢).

«معجم اللغة العربية المعاصرة» (٢/ ١٦٣٨).

-(الصَّبي) الصَّادُ والباءُ والحرفُ المُعتلُّ ثلاثةُ أُصول صحيحة: يدلُّ على صِغر السِّنّ» «مقاييس اللغة» (٣/ ٣٣١).

ثانيًا: حال الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة الأطفال

(١) السلام على الأطفال: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ». وقال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ» صحيح البخاري (٦٢٤٧)، وصحيح مسلم (٢١٦٨).

- في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب. وينبغي لوليه أن يأمره بالرد ليتمرن على ذلك (فتح الباري ١١/ ٣٣).

وهذا يدل على التسليم على الصبيان؛ وفيه تواضع الكبير في السلام على الصبيان، وفيه أيضا تعويد الصبيان وتأنيسهم وتفريحهم بإلقاء السلام عليهم، وفي ذلك فائدة للجهتين: فالكبير يحصل منه التواضع، وتعليم الصغار، وتعويدهم السلام،

Upload by : altawhedmag.com

والصغار يحصل لهم الاستئناس والفرح والابتهاج بحصول ذلك من الكبار لهم. وفي ذلك أيضا تعويد لهم على الحرص على السلام والقائه، وعدم التهاون فيه، وأيضا كونهم يلعبون لا يمنع من السلام عليهم: لأن الصبيان شأنهم اللعب، فحصول السلام عليهم سواء كانوا يلعبون أو لا يلعبون أمر مطلوب. (شرح سنن أبي داود للعباد: ١٢/٥٩١).

(٢) ترسيخ العقيدة الصحيحة:

تربيتهم، وتنشئتهم على معرفة أمور دينهم، عقيدة وشريعة، وسلوكا وأخلاقا، وهكذا ينبغي على كل ولي أمر، فكما يهتم بتربية أجساد أبنائه؛ عليه أن يهتم بتربية أرواحهم. فعن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» سنن الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

وهذا درس هام في تعليم العقيدة.

(٣) التدريب على الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» سنن أبي داود (٤٩٥) والترمذي (٤٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٨).

وقوله: (وهم أبناء سبع سنين): ليعتادوا ويستأنسوا بها (في المضاجع): أي: المراقد. وقال الطيبي: لأن بلوغ العشر مظنة الشهوة، وان كن أخوات، وانما جمع الأمرين في الصلاة والفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديبا ومحافظة لأمر الله تعالى: لأن الصلاة أصل العبادات، وتعليما لهم المعاشرة بين الخلق، وأن لا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا محارم الله تعالى كلها. (مرقاة المفاتيح ٢/٥١٢).

واذا دخل الأب البيت يسأل يقول: «أصلى الغلام؟»:

عن ابن عباس، قال: بت عند خالتي ميمونة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أمسى، فقال: «أصلى الغلام؟» قالوا: نعم، فاضطجع حتى إذا مضى من الليل ما شاء الله، «قام فتوضأ، ثم صلى سبعا -أو خمسا- أوتر بهن، لم يسلم إلا في آخرهن» سنن أبي داود (١٣٥٦) وصححه الأرناؤوط.

(٤) التدريب على الصيام: عن الربيع بنت معوذ، قالت: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما، فليصم»، قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار» صحيح البخاري (١٩٦٠) وصحيح مسلم (١١٣٦). وهذا يدل على تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه لأمته تدريب الأطفال على الصيام، ليعتادوا عليه إذا بلغوا. «إن تعويد الأطفال على الصيام ربط لهم بالشعائر الدينية منذ الصغر».

(٥) تربيتهم على آداب الطعام: عن عمر بن أبي سلمة، قال: كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد. صحيح البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

-معنى الحديث: يقول عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: "كنت غلاما" أي كنت ولدا صغيرا" في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي أعيش في بيته تحت كفالته ورعايته"، وكانت يدي تطيش في الصحفة": أي تتحرك في آنية الطعام كلها، وتجول في جميع نواحيها، "فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم" معلما وموجها: "يا غلام، سم الله" أي قل بسم الله في بداية الطعام تبركا بهذا الاسم المبارك "وكل بيمينك" أي: وكل بيدك اليمنى، "وكل مما يليك": أي من الجهة المقابلة لك من الاناء دون الأطراف الأخرى، قال: "فما زالت تلك طعمتي بعد": أي فما زالت هي طريقتي في الأكل طيلة حياتي. (منار القاري ٥/١٤٢).

(٦) المنع من أكل الحرام: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الحسن بن علي، أخذ تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

Upload by : altawhedmag.com

«كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟» صحيح البخاري (٣٠٧٢)، صحيح مسلم (١٠٦٩).

كخ كخ: هي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات فيقال له كخ أي اتركه وارم به، هي عجمية معربة بمعنى بئس. وفي الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار وتمنع من تعاطيه وهذا واجب على الولي قوله صلى الله عليه وسلم (أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) هذه اللفظة تقال في الشيء الواضح التحريم ونحوه. (شرح النووي ١٧٦/٧).

(٧) المزاح مع الأطفال وتقبيلهم: ومن هديه (صلى الله عليه وسلم) مع أطفاله، الرحمة بهم، والمعاملة لهم بلطف، واضفاء الحنان عليهم بالملاعبة وغيرها. أما خطر في بالك وأنت تتشرف بالجلوس في بيت النبوة أن تداعب صغارك وتمازح أبناءك وتسمع ضحكاتهم وجميل عباراتهم؟ كان نبي الأمة يفعل ذلك كله، فمثلا:

(أ) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: كان رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُدْلِعُ لِسانَهُ لِلْحُسَيْنِ. فيرى الصبيُّ حُمْرَةَ لسانه، فيهش إليه، صحيح ابن حبان (٥٥٩٦) السلسلة الصحيحة (٧٠).

(ادلع) اللسان خرج واسترخى. (المعجم الوسيط (٢٩٣/١) هش: انشرح صدره فرحا وسرورا به، تبسم وارتاح له. معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٣٥١/٣).

(ب) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم» صحيح البخاري (٥٩٩٧). تقبيل الذرية من هدي سيد البرية صلى الله عليه وسلم؛ وفيه الراحة القلبية والنفسية.

(٨) إعطاء حقوق الطفل:

-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟». فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي يَدِهِ. صحيح البخاري (٢٤٥١)، وصحيح مسلم (٢٠٣٠). وفي ذلك إشارة من النبي صلى الله عليه وسلم بالاهتمام بالطفل، والتأكيد على إعطائه حقه، واشعاره بقيمته، وتعويده الشجاعة وابداء رأيه في أدب، وتأهيله لمعرفة حقه والمطالبة به.

(٩) تعويد أنفسنا وأطفالنا على كتمان السر:

قال تعالى: «قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (يوسف: ٥). وعَنْ أنس، قال: أتى عليَّ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأنا ألعبُ مع الغِلْمان، قال: فسلَّم عليْنا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأتُ على أمِّي، فلمَّا جئتُ قالتْ: ما حبسك؟ قلتُ: بعثني رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لحاجة، قالتْ: ما حاجتُه؟ قلتُ: إنَّها سرٌّ، قالتْ: لا تُحدِّثنَّ بسرِّ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أحدًا. (صحيح مسلم ٢٤٨٢).

(١٠) تعويد الطفل الصدق: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ» سنن أبي داود (٤٩٩١). صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٣).

(دعتني أمي يوما) أي: نادتني وطلبتني وأنا صغير، وهذا يدل على أن الكذب على الصغار يعتبر كذبا، بل المطلوب أن يعود الصغار على الصدق، وألا يعودوا على الكذب. (شرح سنن أبي داود للعباد: ٥٦٧/٢٤).

(١٠) الدعاء للأبناء: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ" (صحيح البخاري ٣٣٧١).

نسأل الله أن يصلحنا وأبناءنا.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الاقتداء بالأنبياء

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على رسوله الأمين ورسله أجمعين.. وبعد: فإن الحق- سبحانه وتعالى- قد بعث في كل أمة رسولاً يأمرهم بعبادة الله ويبين لهم الطريق الموصل إليه، وينهاهم عن الشرك، ويحذرهم من الطرق المؤدية إليه، ويقول لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩) وقد اصطفى الله الرسل من بين خلقه ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥) وصنع أنبياءه على عينه! (ولتصنع على عيني) وأوحى إليهم، وعصمهم حتى بلغوا رسالات الله، وبيّنوا للناس ما نزل إليهم، فما من خير ينفع الناس في دينهم ودنياهم إلا بيّنوه ودلوا عليه، وما من شر يضر الناس في دينهم ودنياهم إلا حذروا منه، ونهوا عنه.

إعداد: الشيخ صفوت الشوادفي
رحمه الله

وقد جعل الله الأنبياء والمرسلين قدوة لعباده المؤمنين وأمرنا بذلك فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠) أي اقتدوا بهدى هؤلاء الرسل الذين هداهم الله وأقامهم على الحق قولاً وعملاً وذلك أن الإنسان- أي إنسان- لا يمكنه أن يعيش بغير قدوة! وكل إنسان يقتدي- طوعاً أو كرهاً- بغيره إما في الخير وإما في الشر! أو ساعة وساعة!!

والقدوة الكاملة لا تكون إلا في الأنبياء والمرسلين.

ولا يمكننا أن نقتدي بالرسل إلا إذا وقفنا على سيرتهم وسنتهم، وذلك لأن الاقتداء بهم يدور على أمور ثلاثة: الاعتقاد والأقوال والأفعال.

وعندما ننظر إلى عقيدة الرسل سنجد أنهم جميعاً على عقيدة " التوحيد " فهم جميعاً يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩).

ولذلك فإن الذين يخالفون عقيدة التوحيد (من غير المسلمين) التي جاءت بها الرسل يخرجهم ذلك من الإيمان إلى الكفر، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧).

بل ويشهد عليهم رسولهم يوم القيامة لأنهم لم يقتدوا به في الإيمان، وخرجوا منه إلى الشرك ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٦، ١١٧).

فإننا إذا تدبرنا ذلك الأمر في كتاب الله فإننا نجد أن أصول العبادات واحدة، وإنما وقع التفاوت بينها في الهيئة والكيفية فقط!!

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤).

وقال عن إسماعيل عليه السلام ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم: ٥٥).

وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم عليهم السلام ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣).

Upload by : altawhedmag.com

وقد ثبت أن جملة من الأنبياء قد حجوا بيت الله الحرام، كلٌ في زمانه الذى بُعث فيه.

ونحن نتحدث عن القدوة الحسنة ينتقل بنا الحديث إلى مواضع القدوة فإن الله قد جعل أنبياءه ورسله قدوة لنا في كل شيء وشأن، فإنهم- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- قدوة للحكام والمحكومين، وقدوة للعلماء والدعاة، والعامة والخاصة، والأغنياء والفقراء والصحيح المعافى والمريض الذى نزل به الداء.

وهم كذلك قدوة لمن رزقه الله الذرية، وقدوة لمن حرمه منها!! فهم قدوة للجميع وأئمة للجميع، ومن تتبع مواضع القدوة في كتاب الله تفصيلاً أدرك من وراء ذلك هاتين الفائدتين: الأولى: العبرة (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب). الثانية: تثبيت الفؤاد (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك).

وإني لأرجو من كل قارئ أن يتدبر معي هذه الأمثلة الرائعة تدبراً عميقاً!!

المثال الأول: تدبر قوله تعالى عن نوح عليه السلام (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) مع قوله تعالى (وما آمن معه إلا قليل)!! فالدعاة إلى الله هم أشد الناس حاجة إلى هذا الدرس، فلا نيأس من دعوة غيرنا، وإن وجدنا إعراضاً وصدوداً أو إنكاراً وجحوداً!!

المثال الثاني: قارن بين ما كان من شأن نوح مع ابنه، وما كان من شأن إبراهيم مع أبيه!! فنوح هو قدوة الآباء الصالحين مع الأبناء العاقين! وإبراهيم هو قدوة الأبناء البررة مع الآباء الكفرة أو الفجرة!! فتدبر هذا حق التدبر، وتفكر فيه حق التفكر!

المثال الثالث: قارن بين دعوة موسى عليه السلام وهو محتاج إلى الطعام في سفره (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير).

ودعوة سليمان عليه السلام (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب)!

فظاهر السياق أن موسى يطلب الكفاف! وسليمان يطلب الدنيا بأسرها! فبمن نقتدي؟!!

والجواب: أن الناس يتقلبون بين الغنى والفقر، والمؤمن في حال فقره يقتدي بموسى عليه السلام ويلجأ إلى الله كما فعل، وفي حال غناه فإنه يقتدي بسليمان . وهذه حكمة لله بالغة، فلو كان الأنبياء كلهم فقراء لما وجد المؤمن الغني أحداً من الأنبياء يقتدي به.

المثال الرابع: عندما يشتد بالمؤمن المرض، ويطول البلاء فإنه لا يذهب إلى كاهن أو عراف أو ساحر ونحوه، وإنما يذهب إلى ربه ويجد في نبي الله أيوب قدوة وأسوة (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين).

فإذا ذهب المؤمن إلى طبيب فإن قلبه لا يلتفت إليه، وإنما يراه سبباً ظاهراً قد يُجري الله الشفاء على يديه، وقد لا يفعل!!!

المثال الخامس: قد يُحرم المؤمن من الذرية لحكمة يعلمها الله، وذلك لأنه سبحانه (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما).

فإذا أراد أن يطلب الذرية فإنه يجد في نبي الله زكريا عليه السلام أسوة وقدوة في قوله: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) وتدبر كيف أنه اشترط أن تكون الذرية طيبة! فإن الذرية الفاسدة لا خير فيها، ومثالها ولد نوح، والغلام الذي قتله الخضر.

والحرمان من الذرية خيرٌ من ذرية فاسدة!! فتدبر وتفكر!

وبعد: فإن كل موضع في كتاب الله تحدث عن نبي من أنبياء الله يكون لنا فيه أسوة وقدوة.

وعالم اليوم يموج بالفتن، وقد ابتلي المؤمنون فيه، وزلزلوا زلزالاً شديداً، ولا ملجأ من الله إلا إليه، ولا مفر منه إلا إليه.

وليس أمامنا إلا أن نعود إلى الله عوداً حميداً. وأول الهداية: كلمة التقوى التى نحن أحق بها وأهلها وأن نقتفي أثر الأنبياء والمرسلين.

فقدوتنا ليست في شرق أو غرب! وإنما في وحي أنزله الله، ورسول أرسله! وصلى الله وسلم وبارك على رسله أجمعين وعلى رسولنا وصحبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

تعلمتُ من رسول الله ﷺ

الحلقة 4

لا للتعنت والترفع عن إرشاد المخطئ

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

في آية كريمة من سورة الأحزاب المباركة يصف ربنا تعالى شأنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" (التوبة: ١٢٨). وهذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحزنه ويتعبه ما يتعرض له أي مسلم من عناء وتعب، وذلك للرحمة والرأفة المركوزة في قلبه -عليه الصلاة والسلام- نحو أمته، ولهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام: "إن الله لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا". صحيح مسلم ح٢٩- ١٤٧٨.

١- موقفه صلى الله عليه وسلم عند نزول آية التخيير

وسبب قوله صلى الله عليه وسلم ذلك القول الرحيم: أنه أقسم صلى الله عليه وسلم عندما أغضبه نساؤه ألا يدخل عليهن شهرا، معتزلهن بذلك القسم، فلما انقضى الشهر أنزل الله عز وجل آية التخيير، وهي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا" (الأحزاب: ٢٨- ٢٩).

أي: أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُخيِّر نساءه بين أن يبقين معه، ويصبرن صبرا جميلا، ولهن الأجر عند الله، أو يُطلقهن النبيُّ صلى الله عليه وسلم ويُسرِّحهن ويعطيهن من متاع الدنيا ما أردن.

تقول عائشة رضي الله عنها: "فلما مضت تسعٌ وعشرون"، أي: ليلة، "دخل عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بدأ بي"، أي: بدأ بها في تخييرها، فقال لها صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة، إني ذاكرٌ لك شيئًا فلا تعجلي حتى تستأمري أبويك"، قالت: "ثم قرأ هذه الآية"، أي: آية التخيير، فأجابت عائشة النبيَّ صلى الله عليه وسلم قالت: "أفي هذا أستأمر أبويَّ؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة"، ثم قالت للنبيِّ صلى الله عليه وسلم بعدما اختارته: "يا رسول الله، لا تُخبرْ أزواجك أني اخترتك".

قيل: إنها قالت ذلك حسدًا لهن من الغيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: إنها رضي الله عنها أرادت أن يختار نساؤه الفراق، ولكن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يَرْضَ بهذا الطلب منها فقال لها- كما في رواية أخرى-: "لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها: إن الله تعالى لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا".

فرفع النبيُّ صلى الله عليه وسلم التعنت عن كل زوجاته وساوى بينهن في الإخبار والإرشاد وفي حرية الاختيار، وقيل: إنها قالت ذلك لأنها تعلم أنهن سيفعلن مثلها إن علمن به، وكأنها أرادت أن يكون اختيارهن عن قناعة منهن، رجاء للخير لهن، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثني الله مبلغا"، أي: مبلغا للأحكام مفسرا لها، "ولم يبعثني متعنتا"، أي: مشددا، فأدخل عليهن الأذى والمشقة، وفي الحديث: إشارة إلى فضل عائشة رضي الله عنها؛ لبدئه صلى الله عليه وسلم بها في التخيير، وفيه أيضا: بيان أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان سهلا وميسرا ولم يكن صعبا ولا متعنتا. (مستفاد من شرح الدرر السنية- الموسوعة الحديثية).

ومن هنا يتبين مدى حرص الرسول صلى الله عليه

Upload by : altawhedmag.com

وسلم على هداية الناس، وإبصار طريق الحق، وهو في ذلك يسهل لهم الاختيار، ويعاونهم على بذل أسباب النجاة من النار. صلى الله عليك أيها المصطفى المختار.

٢- موقفه صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه الى البقيع

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولم يمض وقت طويل وهو مستلق بجوارها في لحافهما، وفي تلك اللحظات لم يكن بينهما كثير حديث حتى ظن كل واحد منهما أن الآخر قد نام، والواقع أنهما لم يكونا قد ناما، حتى وجدت أم المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس ملابسه بهدوء تام وفتح الباب وخرج وأغلقه بهدوء تام أيضا. فتحيرت: ماذا في الأمر؟ فخرجت خلفه فوجدته عند مقابر البقيع قد رفع يديه بالدعاء لهم، ثم رجع إلى البيت فأسرعت أمامه حتى دخلت فراشها وكأن شيئا لم يكن، لكنه لما دخل لاحظ أنها تنهج، فسألها عن السبب فأخبرته، فغضب منها ودار بينهما حوار، كانت كلما أشكل عليها كلمة من كلامه صلى الله عليه وسلم سألته عن معناها فيجيبها صلى الله عليه وسلم رغم غضبه منها، يعلمها ويفهمها دون تردد، ويبين لها خطأها، ويزيل عنها الحرج وما التبس عليها مما رأته، وهو في كل ذلك نبي ورسول وزوج ومعلم لا أحد أحسن تعليما منه صلى الله عليه وسلم، لا يدفعه غضبه منها إلى أن يتجاهلها أو ينتقم منها أو يصفها بأنها تغير المواضيع لتهرب من الحقيقة، وتغطي على خطئها، حقا: إنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

وهذه القصة يرويها التابعي محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه سمع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحدث الناس ذات مرة عن شأنها وشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت لمن حولها بطريقة التشويق: «ألا أحدثكم عن النبي صلى الله عليه وسلم وعني؟»، أي: من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسنته في داره ومنزله، فأنصت الناس لها وأجابوها بالموافقة على أن تحدثهم، وبنفس أسلوب التشويق في رواية أخرى: قال محمد بن قيس لأصحابه يوما: «ألا أحدثكم عني وعن أمي»، فظن الناس أنه يريد أمه التي ولدته، ولكن قصد بأمه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ ثم ذكر أنها رضي الله عنها أخبرته أنه لما حضرت ليلتها التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت فيها عندها، تحول إلى فراشه الذي سيضطجع عليه، وقيل: انصرف من المسجد بعد العشاء ورجع إلى فراشه، فخلع ثيابه، وخلع نعليه ووضعهما عند ناحية رجليه ليمكنه لبسهما عند قيامه للخروج، وبسط طرف إزاره- وهو الثوب الذي يغطي نصفه السفلي- على فراشه ونام عليه، فاستلقى النبي صلى الله عليه وسلم على فراشه لينام، ولكنه لم يمكث ولم يستمر على اضطجاعه وقتا، إلا قدر ما ظن أن عائشة رضي الله عنها قد رقدت ونامت، فأخذ رداءه بلطف وهدوء؛ حتى لا تستيقظ ولا تنتبه من نومها، ثم لبس النعلين بهدوء ولطف أيضا، وفتح الباب فخرج من البيت، ثم أغلق الباب بهدوء ولطف، بلا إظهار صوت الإغلاق، وإنما فعل ذلك كله في خفية وبهدوء رفقا بها؛ لئلا يوقظها، ويخرج من عندها وهي يقظى، فربما لحقتها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل.

ثم إن عائشة رضي الله عنها شعرت بخروج النبي صلى الله عليه وسلم، فلبست قميصها من جهة الرأس، وغطت رأسها بالخمار، وجعلت إزارها قناعا تستر به وجهها، ثم انطلقت خلف النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتعلم أين يذهب، فوجدته صلى الله عليه وسلم قد انطلق وذهب حتى جاء البقيع- وهي مقبرة أهل المدينة-، فقام صلى الله عليه وسلم في البقيع للدعاء لأهله، فأطال القيام، ثم رفع يديه يدعو لهم ثلاث مرات، فالتكرار أدعى لإجابة الدعاء، ثم بعد انتهائه صلى الله عليه وسلم انصرف من البقيع راجعا إلى بيته، فانصرفت عائشة رضي الله عنها من موضعها قبل أن يراها النبي صلى الله عليه وسلم فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم في مشيته، فأسرعت عائشة رضي الله عنها أيضا، فجرى جريا فوق المشي وليس بالشديد، فهرولت عائشة رضي الله عنها، فاشتد في جريته، فشدت عائشة رضي الله عنها في جريتها أيضا ولما أحضر صلى الله عليه وسلم أحضرت أمامه، والإحضار: العدو، والعدو فوق الهرولة.

ثم إن عائشة رضي الله عنها سبقته، فدخلت إلى البيت، وبمجرد أن اضطجعت في مكان

Upload by : altawhedmag.com

نومها، دخل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم خلفها، فسألها: «ما لك يا عائش حشيا رابية؟!» ناداها هكذا تلطفًا وتودُّدًا، «حشيا» وهو التهيُّج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتدّ في كلامه من ارتفاع النَّفس وتواتره، «رابية»، أي: مرتفعة البطن! فلأيِّ سبب اضطرب جسمك وانقطع نفسك؟ فأخبرته أنه لم يوجد منها شيءٌ يوجب ذلك.

فقال لها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لتخبريني» عن سبب اضطرابك وانقطاع نفسك، «أو ليخبرني» عن سبب ذلك الله «اللطيف» الرَّفيق لعباده «الخبير» العليم بأحوالهم ظاهرها وباطنها، فقالت عائشة رضي الله عنها: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فأنت مفديٌّ من كل مكروه بوالديَّ، فأخبرته عن سبب ذلك وما حدث منها من مشيها خلفه لتنظر إلى أيِّ مكان يذهب، وهنا فهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وعلم أنها الشخص الذي رآه وهو راجعٌ، فقال لها: «فأنت السواد»، أي: الشخص الذي رأيتُ أمامي حين رجعتُ من البقيع؟ فقالت: نعم، فدفعها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بشدَّة، أو ضربها بجمع كفه في صدرها ضربة أوجعتها، ثمَّ قال لها: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟»، أي: يظلمك الله ورسوله، والحيف: الجور والظلم، والمعنى: أظننت أني ظلمتك بجعل نوبتك ويومك لغيرك، وذكر الله تعالى تمهيدٌ وتوطئة لذكر رسوله، فليس مقصودًا بالحيف، ولتعظيم الرَّسول والدَّلالة على أنَّ الرَّسول لا يمكن أن يفعل بدون إذن من الله تعالى.

فقالت عائشة رضي الله عنها تصديقًا لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مهما يكتم النَّاس» أيَّ شيء يكتمه الإنسان ويخفيه عن غيره «يعلمه الله» الذي يعلم خواطر القلوب، وكأنه إقرارٌ منها بذلك الظنّ.

ثمَّ أخبرها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بحقيقة ما فعل وخروجه في ذلك الوقت: وهو أنَّ جبريل عليه السَّلام-وهو الملك الموكل بالوحي- أتاه حين رأت عائشة رضي الله عنها النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يقوم من فراشه، فناداه جبريل عليه السَّلام ودعاه من خارج الحجرة، وأخفى نداءه من عائشة رضي الله عنها حتَّى لا تسمع، فأجابه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ولبَّى نداءه، وأخفى إجابته له من عائشة رضي الله عنها، ثمَّ بيَّن لها سبب هذا الخفض والإخفاء، وأنَّ جبريل عليه السَّلام ناداه من خارج الحجرة؛ لأنه لم يكن يدخل على عائشة رضي الله عنها في حجرتها وقد وضعت وخلعت ثيابها، وأخبرها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنه ظنَّ حين خروجه من عندها أنها قد نامت، فكره أن يوقظها، وخشي أن تشعر بالوحشة إن تركها بمفردها في ظلمة اللَّيل يقظى.

ثمَّ لمَّا خرج إلى جبريل عليه السَّلام، قال له جبريل: «إنَّ ربَّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، أي: تدعو وتطلب من الله سبحانه غفران ذنوبهم، وهنا سألت عائشة رضي الله عنها: «كيف أقول لهم يا رسول الله» إذا أردت زيارتهم؟ وهذا يشمل أهل القبور مطلقًا، والمعنى: كيف أقول من الذكر والدُّعاء عند زيارة القبور؟ فعلَّمها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن تقول: «السَّلامُ على أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين»، وسمَّى صلى الله عليه وسلم موضع القبور دارًا وديارًا لاجتماعهم فيه كالأحياء في الدِّيار، «ويرحم الله المستقدمين»، أي: الذين تقدَّموا علينا بالموت، «منَّا» معشر المؤمنين «والمستأخرين»، أي: المتأخرين اللاحقين بنا في الموت، «وإنَّا- إن شاء الله- بكم للاحقون» في الموت على الإسلام، وقوله: «إن شاء الله» ليس للشَّك، وإنما هو للتَّبرُّك، وامتثال أمر الله له بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية (الكهف: ٢٣، ٢٤).

وفي الحديث: رفق النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ورحمته. وفيه: بيان ما جُبلت عليه النِّساء من الغيرة.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

منزلة الوقت في الإسلام

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمدُ لله، الذي له مُلكُ السماوات والأرض، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير. والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، أجمعين.

وبعد: فإن الوقت له منزلة كبيرة في الإسلام فهو رأس مال العبد المسلم في هذه الدنيا وقتٌ قصيرٌ وأنفاسٌ محدودةٌ وأيامٌ معدودةٌ، فمن استثمر تلك اللحظات والساعات في أعمال الخير فقد فاز، ومَن أضاعها وفَرَّط فيها فقد خسر خسرانًا مبينًا. ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى إذا أقسم بشيء، فهذا لبيان أهميته وعظيم منفعته، ولقد أقسم الله بأزمان وأوقات معينة، وذلك لبيان شرف الزمان وشرف الوقت؛ فقال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى: ١: ٢)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الليل: ١: ٢)، وقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر ١: ٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ١: ٢)، والمقصود بالعصر هو الزمن، وفي قَسَمه سبحانه وتعالى بالعصر دليل على أن أنفس شيء في الحياة الدنيا هو العُمر. هذه الآيات وغيرها دليل قاطع على شرف الوقت وأهميته في حياة المسلم.

حياة المسلم كلها لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

موقفان للعبد يعرف بهما قيمة الوقت

أخي المسلم الكريم: إن مَن جَهِل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم.

الموقف الأول

ساعة الاحتضار، حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، ليصلح ما أفسد ويتدارك ما فاته، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١٠- ١١)، وهكذا يتمنى الإنسان لحظات قليلة من الوقت يتزود فيها بالقليل من الطاعات والأعمال الصالحة، ولكن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها.

الموقف الثاني

يوم القيامة حيث تُوفَّى كل نفس ما كسبت، ويدخل أهل الطاعة الجنة، وأهل المعصية النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدؤوا من جديد عملًا صالحًا، ولكن لا فائدة مما يطلبون، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء.

Upload by : altawhedmag.com

أهمية الوقت في السنة النبوية

(١) عَنْ عبد الله بْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا (أي: ذو خسران فيهما) كَثِيرٌ مِنَ النَّاس الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ. (البخاري حديث ٦٤١٢).

(٢) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٧٠).

(٣) عن أبي بكرة أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّه أَيُّ النَّاس خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ قَالَ فَأَيُّ النَّاس شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ. (حديث صحيح: مسند أحمد جـ ٥صـ٤٣).

التحذير من سب الوقت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. (البخاري حديث ٤٨٢٦، ومسلم حديث ٢٢٤٦).

قال ابن القيم: سَابُّ الدَّهْرِ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لا بُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا. إِمَّا سَبُّهُ لِلَّه أَوِ الشِّرْكُ بِهِ فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللَّه فَهُوَ مُشْرِكٌ وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّه وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ سَبَّ اللَّه. (زاد المعاد لابن القيم جـ ٢صـ ٣٥٥).

خصائص الوقت

للوقت خصائص يتميز بها، يجب علينا أن ندركها، ونتعامل مع الوقت على ضوئها، منها:

(١) سرعة انقضاء الوقت (٢) ما مضى من الوقت لا يعود ولا يعوض (٣) الوقت أنفس ما يملكه الإنسان.

قتلة الوقت

إن مما يدمي القلب، ويمزق الكبد أسفًا: ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات، فاقت حد التبذير إلى التبديد، والحق أن السفه في إنفاق الأوقات أشد خطرًا من السفه في إنفاق الأموال، وإن هؤلاء المبذرين لأوقاتهم لأحق بالحجر عليهم؛ لأن الوقت إذا ضاع لا عوض له.

ومن العبارات التي أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة وما تقال في المجالس والأندية عبارة (قتل الوقت)؛ فترى هؤلاء المبذرين أو المبددين يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد أو رقعة الشطرنج أو لعبة الورق، أو غير ذلك -مما يحل أو يحرم-. لا يبالون، لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة وعن واجبات الدين والدنيا. فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع قالوا لك بصريح العبارة: إنما نريد أن نقتل الوقت! ألا يعلم هؤلاء المساكين أن من قتل وقته، فقد قتل في الحقيقة نفسه! (الوقت في حياة المسلم صـ١٨).

كيف يطيل المسلم أعماله الصالحة؟

عُمر الإنسان المسلم ليس هو السنين التي يقضيها من يوم ولادته إلى يوم الوفاة، إنما عُمره في الحقيقة يكون بقدر ما يُكتب له في ميزان حسناته عند الله تبارك وتعالى من الصالحات وفعل الخيرات. فإن المسلم قد يموت شابًا، ولكن رصيده من أعمال الخير حافل وجليل، وينفع الله به المسلمين بعد موته، وبقدر ما يكون للمسلم من فائدة على المسلمين، بقدر ما يكون ذلك امتدادًا لعمله.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (يس: ١٢): قال سعيد بن جبير: ما سَنُّوا مِنْ سُنَّة، فعمل بها قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ، لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ مَنْ عَمِلَهُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَتْ شَرًّا فَعَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَهُ شَيْئًا. (تفسير ابن كثير جـ١١ صـ٣٤٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. (مسلم حديث ٢٦٧٤).

حرص سلفنا الصالح على الوقت

(١) قال عبد الله بن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ونقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي. (قيمة الزمن عند العلماء صـ٢٧).

(٢) قال الحسن البصري: أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم. (قيمة الزمن عند العلماء صـ٢٧).

Upload by : altawhedmag.com

(٣) قالت حفصة بنت سيرين: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب. (صفة الصفوة جـ٤ صـ٢٤).

(٤) كان الشافعي يجزئ الليل إلى ثلاثة أجزاء، الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام. (صفة الصفوة جـ٢صـ٢٥٥).

(٥) قال إبراهيم بن شيبان: من حفظ على نفسه أوقاته فلا يضيعها بما لا رضا لله فيه، حفظ الله عليه دينه ودنياه. (الوقت أنفاس لا تعود صـ٣٧).

تنظيم الوقت

يجب على المسلم الواعي أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يُبادر به. وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من أصحاب المسؤوليات، كولاة الأمور وأهل العلم، وذلك لصلاح أحوال العباد والبلاد. (الوقت في حياة المسلم صـ٢٢).

الأبناء والفراغ

الكثير من طلبة المدارس يقضون إجازة صيفية طويلة، فهل تساءل الآباء كيف يقضي الأبناء هذا الوقت الطويل بما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم؟ إن من حُسن التربية أن يعتاد الأبناء منذ نعومة أظفارهم على الاستفادة من الأوقات بما هو مفيد حتى يتعودوا على ذلك.

قال ابن الجوزي عند نصحه ولده بحفظ الوقت: اعْلَمْ يا بني أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفس خزانة فاحذر أن يذهب نَفَسٌ بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم! وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا إلى أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك وعَوِّدها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه. (قيمة الزمن عند العلماء: ص٦٢).

كيف يستثمر المسلم وقته؟

نستطيع أن نوجز وسائل استثمار الوقت والاستفادة منه في الأمور التالية:

(١) التفقه في الدين وحفظ القرآن الكريم

يجب على المسلم أن يستثمر وقته بطلب العلوم الشرعية بقدر استطاعته، وليعلم أن الوقت الذي يقضيه في طلب العلم يكون في ميزان حسناته يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

وعَنْ مُعاوية بْن أبي سُفْيان قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُرِدْ الله به خيرًا يُفقِّهْهُ في الدين. (البخاري حديث ٧١).

(٢) الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة ونشر العلم النافع

إن الدعوة إلى الله تعالى مجالٌ خصب لاستثمار الوقت، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين وهم خير عباد الله تعالى، وهم سفراء الله إلى خلقه، إن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من أفضل الأعمال؛ لأنها سبب في هداية الخلق إلى الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، وعنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قال: إذا مات الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلَاثَة إلَّا مِنْ صَدَقَة جَارِيَة أوْ عِلْم يُنْتَفَعُ به أوْ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ. (مسلم حديث ١٦٣١).

(٣) عمارة المساجد بالصلاة وذكر الله

عمارة بيوت الله تعالى تكون بالمحافظة على الصلوات المفروضة فيها ومدارسة حلقات العلم النافع، وغير ذلك من الطاعات التي ترفع شأن صاحبها عند الله تعالى، وهي باب عظيم للمسلم الواعي لاستثمار وقته.

قال سبحانه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ لله مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ فَإذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ الله تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلَى حَاجَتِكُمْ قال فَيَحُفُّونَهُمْ بِأجْنِحَتِهِمْ إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. (البخاري حديث ٦٤٠٨، ومسلم حديث٢٦٨٩).

(٤) طلب العلوم الدنيوية التي تساعد المسلم في أمور دنياه

Upload by : altawhedmag.com

يجب على المسلم أن يجتهد في طلب علوم الطب والصيدلة والهندسة وغيرها من العلوم النافعة، التي تساعده على تعمير حياته الدنيا.

(٥) قضاء حوائج المسلمين

يمكن للمسلم أن يستثمر وقته في قضاء حوائج الناس. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. (مسلم حديث ٢٦٦٩).

(٦) ممارسة الرياضة المفيدة

يستطيع المسلم أن يستثمر بعضًا من وقته في ممارسة الرياضة المفيدة بما يعود عليه بالنفع ويساعده على بناء جسم قوي ويروّح عن نفسه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل مع أصحابه الكرام، ويُشترط في الرياضة التي يمارسها المسلم أن تكون مما أباحه الشرع الحنيف، ولا تجبر المسلم على كشف شيء من عورته، وألا تضيع أداء الصلوات المفروضة في الجماعة الأولى في المساجد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بتهنئة الباحث **إيهاب مرسي عبد المجيد بيان**؛ بمناسبة حصوله على درجة الماجستير، تحت عنوان: «فاعلية إستراتيجيتي النمذجة الرياضية والتفكير المتشعّب في تنمية التحصيل والبراعة الرياضية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية»، من كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم.

تحت إشراف:

أ.د/ عبد الناصر محمد عبد المجيد، أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب- كلية التربية- جامعة المنوفية.

أ.م.د/ أمل محمد مختار الحنفي، أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات المساعد، كلية التربية، جامعة المنوفية.

وتكونت لجنة المناقشة من كل من:

أ.د/ سعيد جابر المنوفي، أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات المتفرغ، كلية التربية، جامعة المنوفية.

أ.د. رمضان رفعت سليمان، أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات المتفرغ، العميد السابق لكلية التربية، جامعة مدينة السادات.

أ. د/ عبد الناصر محمد عبد الحميد، أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب، كلية التربية، جامعة المنوفية.

أ. م. د/ أمل محمد مختار الحنفي، أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات المساعد، كلية التربية، جامعة المنوفية.

والله ولي التوفيق.

Upload by : altawhedmag.com

الأسرة وتنمية العمل التطوعي لدى الأبناء

إعداد
د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة سابقًا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

يحثنا الدين الإسلامي على العمل التطوعي بداية من أعظم الأمور حتى أصغر الأشياء مثل إماطة الأذى عن الطريق أو الابتسام في وجوه الآخرين، قال تعالى: «فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ» (البقرة:١٨٤)، كما يقول سبحانه وتعالى: «وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ» (الأنبياء: ٧٣).

والتطوع في الإسلام قائم في الكثير من المبادئ والمعاملات الإسلامية مثل الزكاة والصدقات، وهي بصورة أو بأخرى نماذج للعمل التطوعي، يُضاف إليها إغاثة المحتاج والتكافل والتعاون.. وفي الحقيقة أن الدين الإسلامي رسَّخ في وجدان المسلم قيم العمل الجماعي في بناء المساجد والمنازل ومساعدة المحتاجين والمرضى.

وتعتمد الشعوب المتحضرة بشكل كبير على المتطوعين والذين يتقدمون بشكل طوعي إلى الجهات المعنية ويشكلون مجموعات تطوعية تؤمن بأهمية العمل التطوعي، ويمارسونه إيمانًا منهم بأنه عمل إنساني يخدم المجتمع، وبالتالي أصبح هناك تنافس للعمل التطوعي داخل المجتمع.

والأسرة آية من آيات عظمة الله وتدبيره لشؤون خلقه تستدعي التأمل والتفكر، قال تعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم:٢١)، فالزواج لتكوين الأسرة، إنما هو تلبية للحاجات النفسية والعاطفية والعقلية والجسدية في ظلال من السكن والمودة والرحمة والامتزاج التام والستر المشترك.

مفهوم التطوع:

التطوع عمل نبيل ومقاصده إنسانية بحتة، وهو تسابق لنيل الأجر والثواب قبل العائد المعنوي والنفسي أو حتى المادي أحيانًا، والتطوع هو كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون ملزمًا به لا من جهة المشرع ولا من غيره، ويعرف أيضًا على

Upload by : altawhedmag.com

أنه عمل غير ربحي، لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين، من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة.

أهمية التطوع:

يُعتبر التطوع مقياسًا لأيّ إنسان يرغب معرفة مدى جديته والالتزام بالعمل. فالعمل التطوعي يصقل من شخصية الفرد، وتفجير طاقاته الإبداعية، وينمّي طريقة تعامله مع المجتمع بأسره بمختلف عقلياته وطبقاته. وتكمن الأهمية الكبرى للعمل التطوعي فيما يلي:

- تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية.
- ملء أوقات الفراغ بأعمال مفيدة للمجتمع.
- التوعية باحتياجات المجتمع، والفئات التي تحتاج مساعدة فيه.
- تقوية الترابط والتكافل بين أفراد المجتمع.
- تنمية الإحساس بالمسئولية لدى الأفراد.
- يتيح للشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تهم المجتمع.
- تنمية شعور المواطنة لدى الأفراد، مما يؤدي إلى زيادة انتماء الفرد للمجتمع والوطن.

مفهوم الأسرة:

الأسرة هي الجماعة الأولى التي تستقبل الطفل وليدًا، وتمثل الأسرة بالنسبة لأطفالها الصغار كل العالم المحيط بهم. والأسرة هي التي تحوّل الطفل من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يشعر بذاته وأنه مستقل عن ذوات الآخرين. كما تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية في بناء أي مجتمع، وهي المصدر الأول والأساسي في تعليم الطفل العادات والقيم والتقاليد الاجتماعية. فقد أثبتت جميع الدراسات أهمية دور الأسرة في التأثير على الطفل في السنوات الأولى من حياته أكثر من المدرسة.

إن مفهوم الأسرة يُعبّر عن جماعة اجتماعية لا يمكن تجزئتها إلى جماعات أخرى، وتقوم على عناصر بيولوجية، ونفسية، وثقافية. والملاحظ أن تكوينها، وبناءها، وظروف معيشتها، واحتياجها، والعلاقات القائمة بين أعضائها، ووظائفها تتنوّع عبر الزمان وعبر المكان، مرتبطة في ذلك بأنظمة المجتمعات وبأشكال الحضارة.

واجبات الأسرة في تنشئة الطفل:

الأسرة هي أول مؤسسة ثقافية يتفاعل معها الطفل، وفيها تغرس البذور الأولى للثقافة فيه عن طريق الأم والأب والكبار الذين يحيطون به، وذلك من خلال أساليب التنشئة والقدوة وأنماط السلوك الاجتماعي والعادات والقيم.

ويتضح أن الملامح الرئيسة لثقافة الطفل تجاه العمل التطوعي تُحدّد بدرجة كبيرة من خلال الأسرة في الفترة العمرية المبكرة. ولا تستطيع الأسرة أن تحقق ذلك إلا من خلال قيامها بواجباتها في مجال تنمية ثقافة الطفل اتجاه العمل التطوعي، ومنها على سبيل المثل وليس الحصر:

واجبات الأسرة نحو تنمية الثقافة الدينية للطفل: عن طريق غرس بذور العقيدة الدينية الصحيحة. فإن نجحت الأسرة في هذا الغرس تكون قد وضعت اللبنة الأولى في تكوين الضمير الديني والأساس القوي للعمل الصالح.

واجبات الأسرة نحو التنمية الثقافة الصحية للطفل: حيث يكتسب الطفل من الأسرة العادات والاتجاهات الصحية عن طريق المحاكاة والتقليد، واكتساب العادات الصحية السليمة في النظافة والطعام والتغذية.

أما واجبات الأسرة نحو تنمية الثقافة الرياضية للطفل: فتتمثل في دورها في البناء البدني والترويحي تجاه الأبناء وخاصة في مرحلة الطفولة. ويظهر ذلك في اعتناق مفاهيم خاطئة عن الرياضة البدنية والترويح السلبي كالمشاهدة والتشجيع والتعليق على الأحداث الرياضية. هذه الممارسات تُعدّ سببًا ونتيجة في آن واحد لضعف الدور التربوي المنوط بالآباء.

Upload by : altawhedmag.com

الأسرة ودورها في تنمية العمل التطوعي لدى الأبناء:

الأسرة هي البيئة الوحيدة التي تستقبل المولود منذ ولادته، وتستمر معه مدى الحياة، تعاصر انتقاله من مرحلة إلى مرحلة أخرى، بل لا يوجد نظام اجتماعي آخر يُحدّد مصير النوع الإنساني كله، كما تحدده الأسرة.

وعليه، لا بد من توجيه الآباء للأبناء للعمل التطوعي وعيًا وتنفيذًا واستشعارًا بالأهمية كخطوة لدفع الأبناء نحوه فالأبناء يهتدون ويقتدون بسلوك آبائهم، والأسرة تستطيع تنمية العمل التطوعي لدى أبنائها من خلال ما يلي:

- التربية بالقدوة هي الأكثر تأثيرًا في الصغار، ومن هنا فإن رؤية الصغار للآباء والأمهات وهم يقومون بالأعمال التطوعية تجعلهم يتطلعون إلى تقليدهم ومساعدتهم في الأعمال التطوعية التي يقدّمونها.
- التحدث مع الأبناء عن بعض الأنشطة والأعمال التطوعية التي قدّمها الآباء والأجداد والأمهات والجدات حتى يشعر الأطفال بأن العمل التطوعي هو الأصل في حياة الإنسان، وهو الشيء الطبيعي الذي ينبغي أن يكون موجودًا في كل الأحوال.
- تدريب الأبناء على العمل التطوعي من خلال المساعدة في غرس الأشجار والعناية بها، وكذلك الإسهام في نظافة الأماكن العامة.
- على الأسرة أن تُدرّب صغارها على العمل التطوعي من خلال بعض الترتيبات والتنظيمات الداخلية، مثال وجود حصالة في المنزل بحيث يضع كل واحد من الصغار فيها جزءًا من مصروفه، ويتم فتحها كل فترة زمنية محددة وشراء بعض الوجبات والحلوى وتوزيعها على الآخرين من المحتاجين.
- العمل على تنمية حب الخير وبذل المعروف والانتماء للمجتمع وللوطن في نفوس الأبناء منذ الصغر.

خاتمة:

إن التطوع عمل حضاري يُجسّد وعيًا بكل ما يدور من أحداث ومستجدات ويجسد في ذات الوقت تلاحمًا وتعاونًا بين المتطوعين ومختلف المؤسسات الاجتماعية، وتُعدّ المشاركة في أيّ مجال من مجالات العمل الإنساني واجبًا إنسانيًا واجتماعيًا وشرفًا للإنسان، ويجب أن نغرس في نفوس أطفالنا حب الخير وكذلك تنمية الحس التطوعي حتى نؤسّس في نفوسهم أهمية التطوع والوقوف صفًا واحدًا لمساعدة الآخرين في الحالات الطارئة.

أيها الأبناء: جربوا التطوع، شاركوا نظّموا اعملوا ساهموا... إن ساعة قد تستثمرها في التطوع وعمل الخير قد تشفع لك عند ربك، والأوقات الكثيرة التي نقضيها في أعمال دنيوية قد نعتبرها سعيدة، الأسعد منها أوقات الخير تلك، والتطوع لا يتطلب تكلفة، كل ما يحتاجه هو قلب مفتوح للخير، ونية صافية، ورغبة بما عند الله، ولتكن أهدافكم لوجه الله تعالى وليس لمقاصد شخصية، وستجدون العائد في حياتكم وفي الآخرة.

وأخيرًا وليس آخرًا.. نوصي بمجموعة من التوصيات من أجل تنمية العمل التطوعي في نفوس أبنائنا وهي:

- تثقيف وتشجيع الأبناء بأهمية وقيمة العمل التطوعي وتنمية القيم الأخلاقية والاجتماعية في نفوسهم منذ الصغر.
- عقد دورات للآباء في القدوة الناجحة في شتى الجوانب ومنها العمل التطوعي والأخلاق التي تدفع له كالإيثار والتواضع.
- ومنها حثّ الآباء على تأليف القصص التي تُحبّب الأطفال في العمل التطوعي منذ الصغر.
- ومنها تقديم حوافز معنوية ومادية لتشجيع الأبناء على المشاركة في الأعمال التطوعية.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما زلنا نسدد السهام لنحور اللئام الذين طعنوا في مقام النبي صلى الله عليه وسلم بسبب زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها. ومن صور الطعن قولهم: تزوج بزوجة ابنه. وهي من المحرمات! واليكم البرهان الواضح في رد هذا الكذب الفاضح:

ونبينه في أربعة أوجه:

الأول: أبناء النبي صلى الله عليه وسلم الذكور ماتوا صغارا ولم يبلغوا مبلغ الرجال.

قال تعالى: « مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » (الأحزاب: ٤٠): أي: إنه لما تزوج صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس: تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ»: أي: ليس بأب لزيد بن حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته، ولا هو أبٌ لأحد لم يلده؛ فنهى تعالى: أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه وان كان قد تبناه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم؛ فإنه ولد له القاسم، وعبدالله ويلقب بالطيب، والطاهر،-وقيل هما اثنان غير عبد الله- من خديجة فماتوا صغارًا، وولد له إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضًا رضيعًا. تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وفتح القدير للشوكاني (سورة الأحزاب: ٤٠).

الثاني: بيان نسبه: فاذا لم يكن ابنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هو؟

هو: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاحِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَامِرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَامِرٍ... وهنا يلوح في الأفق سؤال: كيف جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف نسب إليه؟

كان قد أخذ أسيرًا ثم اشتراه حكيمُ بْنُ حزام بْنِ خُوَيْلِد: فَدخلَتْ عليه عَمَّتُهُ خديجةُ بنْتُ خُوَيْلِد، فَقَالَ لَهَا: اخْتَارِي يا عَمَّةُ أَيَّ هؤلاءِ الغِلْمَانِ شِئْتِ؛ فَهُوَ لَكِ. فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ، فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا، فَوَهَبَتْهُ لَهُ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَنَّاهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ قَدْ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَبَكَى

Upload by : altawhedmag.com

عليه حين فقده، فقال:
بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحيٌ فيرجى أم أتى دونه الأجل
فلمَّا علم أنَّه بمكَّة قدمها ليفديه، فدخل حارثة وأخوه على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن عبد الله! يا ابن سيِّد قومه! أنتم أهل الحرم، وجيرانه وعند بيته، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامْنُنْ علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من هو"؟ قالا: زيد بن حارثة. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا، فقال له: "إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك". فقال زيد: بل أقيم عندك. وما أنا بالذي أختار عليك أحدًا. أنت مني بمكان الأب والأم. فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم. إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. فلم يزل زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى، فصدقه، وأسلم، وصلى معه. فأنزل الله عز وجل: «ادعوهم لآبائهم» قال: أنا زيد بن حارثة. (انظر: سنن الترمذي (٤١٤٩) وسيرة ابن إسحاق (١/ ٢٨٤)، وابن هشام (١/ ٢٤٨)).

الوجه الثالث: تحريم التبني

قال تعالى: «مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» (الأحزاب: ٤). إلى قوله: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الأحزاب: ٥). ففي هذه الآية يقول تعالى موطئًا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًّا معروفًا: وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت علي كظهر أمي أمًا له، كذلك لا يصير الدعي ولدًا للرجل إذا تبناه: فدعاه ابنًا له. فقال: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم».

وقوله: «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» (الأحزاب: ٤): هذا هو المقصود بالنفي: فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد تبنَّاه قبل النبوة، وكان يقال له: "زيد بن محمد" فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» كما قال في أثناء السورة: «مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (الأحزاب: ٤٠)، وقال هاهنا: «ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ»، يعني: تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.

«والله يقول الحق»: أي: العدل «وهو يهدي السبيل» أي: الصراط المستقيم.

وقوله: «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ»: هذا أمرٌ ناسخٌ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء. فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط.

وعن عبد الله بن عمر: أن زيدًا بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله». صحيح البخاري (٤٥٠٤).

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك. ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة، وقال: «لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» (الأحزاب: ٣٧)، وقال في آية التحريم: «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» (النساء: ٢٣): احترازًا عن زوجة الدعي، فإنه ليس من الصلب، فأما الابن من الرضاعة، فمنزل منزلة ابن الصلب شرعًا. بقوله عليه السلام في الصحيحين: "حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب" فأما دعوة الغير ابنًا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهي عنه في هذه الآية.

وقوله: «فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم» (الأحزاب: ٥): أمر الله تعالى برد أنساب

Upload by : altawhedmag.com

الأدعياء إلى آبائهم، إن عُرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضا عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم. فأخذها عليٌّ وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك فاحتمليها؛ فاختصم فيها عليٌّ، وزيد، وجعفر في أيهم يكفلها، فكل أدلى بحجة؛ فقال عليٌّ: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال زيد: ابنة أخي. وقال جعفر بن أبي طالب: ابنة عمي، وخالتها تحتي-يعني أسماء بنت عميس-؛ فقضى النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: "الخالة بمنزلة الأم". وقال لعلي: "أنت مني، وأنا منك". وقال لجعفر: "أشبهت خَلقي وخُلقي". وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا" البخاري (٢٥٥٢).

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها: أنه، عليه الصلاة والسلام، حكم بالحق، وأرضى كلًا من المتنازعين، وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا"، كما قال تعالى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ (الأحزاب: ٥). أي إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع؛ فإن الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥)؛ أي: وإنما الإثم على من تعمد الباطل. تفسير ابن كثير (٦/ ٣٧٦).

وهذا إمعان في إبطال هذا التبني الذي كان معروفا في الجاهلية الأولى كما عرف في الجاهلية الحاضرة؛ حيث أمر الله تعالى إمام المسلمين وقدوتهم بذلك. أيسر التفاسير (٤/ ٢٧٣).

وفي الجملة في هذا الزواج ثلاث فوائد:

أحدها: لتستن أمته بذلك.

ثانيها: بيان أن الله قد أحل ذلك لمن كان قبله من الرسل، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ الآية.

ثالثها: قطع البنوة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين وزيد بن حارثة رضي الله عنه.

البدر المنير (٧/ ٤٧٤).

فإن قيل: ولم حرَّم الله التبني؟

فالجواب: أن ذلك هو الأقسط والعدل عند الله تعالى: كما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٥)؛ فإن قيل: ما وجه العدل والقسط في تحريم التبني؟

فالجواب: من وجوه:

الأول: أن الله تعالى هو الذي شرع ذلك، وأخبر: أنه الأقسط عنده، وهو العليم الخبير. (التحرير والتنوير، سورة الأحزاب).

الثاني: أنهم يرتبون على هذا القول الفاسد أحكام الحقيقة التي لا وجود لها، فكانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم، وغير ذلك، ووجود الأجنبي في البيت مفسدة لا يزيلها الدعوى بأنه ابن؛ لأنه قول بالأفواه لا حقيقة له.

الثالث: أن التبني بهذا الشكل مناف للغيرة.

الرابع: أن التبني فيه ظلم لأبناء الصلب.

الخامس: أن التبني يحرم زواج من لا يحرم زواجه.

السادس: أن فيه ظلمًا للأب الحقيقي.

السابع: أن قضية التبني خلاف المعقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة للمظاهر أمه حتى تكون أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين.

الثامن: تحريمه فيه قطع للتشبه بالكفرة بالكلية.

التاسع: أن في تحريم التبني إرشادًا-ضمنيًا- للعباد إلى قول الحق وترك قول الباطل والزور.

موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٢٠).

الوجه الرابع: في الإشارة إلى فضائل زيد؛ وذلك لكي لا يظن أن إلغاء التبني حطٌ من شأن زيد.

١- تعويضه الأخوة الإيمانية التي ثبتت وأشرنا إليها سابقًا.

٢- كونه خليقًا بالإمارة ومن أحب الناس إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

أخرجه البخاري (٣٥٢٤).

٢- قول عمر-رضي الله عنه-: إن زيدًا أحب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم منه.

الترمذي (٣٨١٣)، وقال: حسن غريب.

٣- شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وهي شهادة بالجنة. صحيح أخرجه أحمد (١٧٥٠)، وانظر: موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٢٣).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلا من

١٥٠٠ جنيه

لفترة محدودة

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com